[redacted]

[redacted]

إعداد
أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة النبوية وعلومها

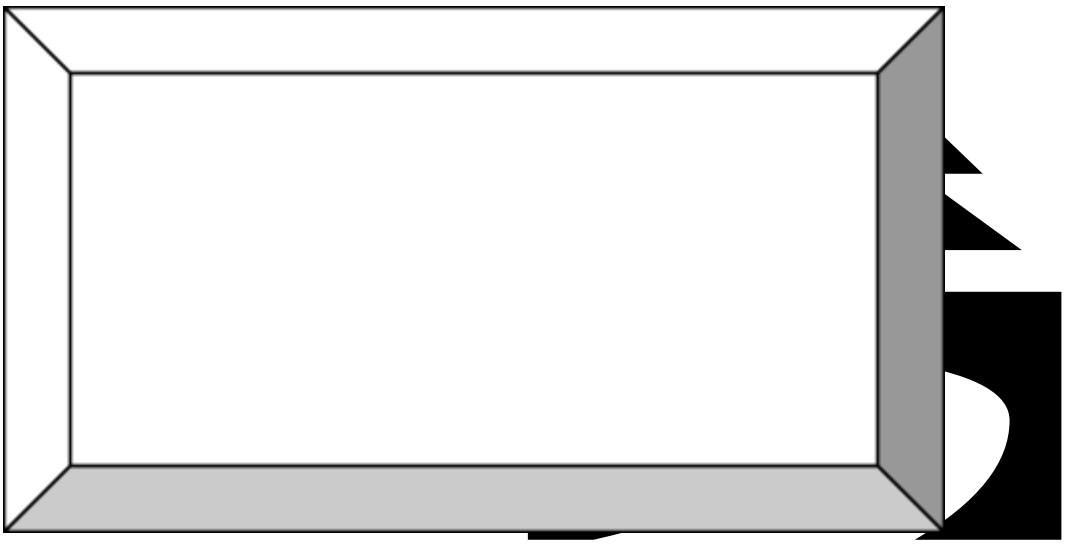

المقـدمة

الحمد لله الذي فضل هذه الأمة بما فرض عليهم من الكتاب والسنة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن نبينا محمداً أفضل رسول لأفضل أمة ه وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم واقتفى أثرهم على السنة, أما بعد:

فإن من فضل الله تعالى على العبد أن يوفق للعلم الشرعي المستقى من الكتاب والسنة تعلماً وتعليماً ونشراً ودفاعاً ليدخل في زمرة من بشّرهم النبي ه بقوله: $نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع#([1]).

وقد بذل أهل العلم من المحدثين جهوداً جبارة لخدمة حديث رسول الله ه على مداد القرون الماضية جمعاً واستنباطاً وتقعيداً لقواعده وضبطاً لأصوله فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء.

وفي هذا الوقت وجدت الأقسام العلمية المختصة في الجامعات وغيرها, ومن بينها أقسام السنة النبوية فتشعب الاختصاص فيها, وهذا من التطور المحمود –ولله الحمد والمنة- فوجد ما سمي بـ (**الحديث الموضوعي**) وهو موجود من الناحية العملية على مدار لكن لم يسطر من الناحية النظرية, وقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليّ بأن درسته لطلاب السنة المنهجية في مرحلة (**الماجستير**) في كلية أصول الدين بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنوات عدة فرأى بعض الإخوة والزملاء تسجيل وتقييد هذه المعلومات النظرية علّها أن تكون مفيدة ومنطلقاً لتوسيعها فشرح الله تعالى الصدر لذلك, فكانت هذه الكلمات المختصرة –نظرية وتطبيقية- **في ضوء العناصر الآتية:**

بيان مفهوم الحديث الموضوعي مع المصطلحات المقاربة له, مفرداً ومركباً, والفرق بينه وبين الحديث التحليلي.

ثم أهميته وأهدافه, ونشأة التأليف فيه, والصورة التطبيقية له, ومثال تطبيقي له, وجعلت ذلك كله في مباحث.

---

[1]() أخرجه:الترمذي (5: 34 رقم 2658) كتاب العلم، باب الحث على تبليغ العلم، وابن ماجه (1: 84 رقم 230) كتاب الإيمان، باب من بلغ علما. وهو حديث صحيح.

وقد نهجت فيه منهج التفقيط والاختصار لأن المقصود كان لطلاب مرحلة (الماجستير) من حيث نوعية الطلاب, وللوصول إلى الصورة المراد تطبيقها والعمل بها.

وقد لقي الحديث الموضوعي -مؤخراً- اهتماماً كبيراً من جميع الأقسام العلمية المختصة, وخرج عدد من الرسائل العلمية فيه فكان لزاماً أن يخرج هذا التقعيد, داعياً إخواني من أعضاء هيئة التدريس وغيرهم من المهتمين بدراسة الحديث وتدريسه التسديد والتصويب والتطوير جزاهم الله خيراً وأثابهم, أسأل الله تعالى أن ينفع به, ويجعله من المدخرات في الدنيا والآخرة, إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها
البريد الإلكتروني : falehmalsgair@yahoo.com

المبحث الأول
تعريف الحديث الموضوعي

أولاً: تعريفه باعتبار مفرداته:
تعريف الحديث:
في اللغة: الحديث ضد القديم([2]).
وفي الاصطلاح: هو ما روي عن النبي ه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية([3]).
شرح التعريف:
$**ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم**#: يخرج به ما أضيف إلى غيره.
$من قول#: يعني: الأحاديث القولية وهي أكثر الأحاديث, كقوله ه: $المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)([4]), وقوله: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر#([5]).
$أو فعل#: مثل ما نقله الصحابة ن من صفة صلاته واعتكافه وحجه وغيرها.
$أو تقرير# **وله عدة صور:**
أ- أن يرى فعلاً من أفعال الصحابة ثم يقره بقوله.
ب- أو يسكت عنه.
ج- أو تحدث حادثة لم يشهدها ثم يقرها.
$أو صفة خَلْقية#: ما نقل إلينا من صفاته الخلقية كالطول واللون.
$أو صفة خُلُقية#:وهي شمائله وكريم أخلاقه من حلم وصبر وشجاعة وكرم وغيرها, وزاد بعضهم (وكذا ما أضيف إلى الصحابة أو التابعين).
مرادفات لفظ الحديث بمعناه الاصطلاحي:
1-السنة.

---

[2]() النهاية في غريب الحديث والأثر (1/350).
[3]() السنة قبل التدوين (ص: 20) شرح النخبة (ص::10), وغيرهما من كتب الاصطلاح.
[4]() أخرجه: مسلم (1/65 رقم 41) وغيره عن جابر بن عبد الله ط.
[5]() أخرجه: مسلم (1/93 رقم 91)وغيره عن عبد الله بن مسعود ط.

تعريفها لغة: هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة[6].

والسنة هي الطريقة فسنة كل واحد ما عهدت منه المحافظة عليه, والإكثار منه سواء كان ذلك من الأمور الحميدة أو غيرها [7].

ولها أيضاً معان أخرى تقرب مما ذكر.

وفي الاصطلاح: هي كل ما أثر عن النبي ه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

والسنة بهذا المعنى مرادفة لمعنى الحديث النبوي عند بعضهم[8].

معاني السنة في القرآن الكريم:

ورد لفظ السنة في كتاب الله تعالى في مواضع عدة, كما في سورة آل عمران آية 137 وسورة النساء آية 26 وسورة الأنفال آية 38 وسورة الحجر آية 13 وسورة الإسراء آية 77 وسورة الكهف آية 55 وسورة الأحزاب آية 38 و62 وسورة فاطر آية 43 وغافر آية 85 والفتح آية 23 كما في المعجم المفهرس[9], وقد ذكر المفسرون والمعتنون بألفاظ القرآن الكريم أن معناها الطريقة مطلقاً من غير تقييد.

قال الأصبهاني: (السنن جمع سنة وسنة الوجه طريقته وسنة النبي طريقته التي كان يتحراها, وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو سنة الله التي قد خلت ..) [10].

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم: يعني طرائقهم الحميدة)[11].

وقال القرطبي: (يبين لكم طرق الذين من قبلكم من أهل الحق وأهل الباطل) [12].

معانيها في حديث النبي ه:

ورد لفظ السنة في أحاديث النبي ه كثيراً, ويبينها الشارحون

---

[6]() لسان العرب(13/225).
[7]() الإحكام(1/223).
[8]() السنة ومكانتها في التشريع ص 53 السنة قبل التدوين (ص:16).
[9]() المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص: 367).
[10]() المفردات في غريب القرآن, الأصبهاني (ص: 245).
[11]() تفسير القرآن العظيم(2: 267).
[12]() الجامع لأحكام القرآن, القرطبي (5/148).

لحديثه ه بمعنى الطريق المتبعة.

قال ابن الأثير –في باب السين مع النون- سنن: (قد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل منها الطريقة والسيرة وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ه ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز, ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث) [13].

قال الحافظ ابن حجر: (السنة ما جاء عن النبي ه من أقواله وتقريره وما همّ بفعله[14],

والسنة في أصل اللغة: (الطريقة) [15].

معانيها عند علماء الشريعة سوى المحدثين:

- أ ـ السنة في علم الاعتقاد:

هي الطريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ه وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال وهذه هي السنة الكاملة[16] استناداً إلى ما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ه يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[17].

- ب ـ السنة في اصطلاح الفقهاء:

فهي كل ما ثبت عن النبي ه ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[18].

أو هي كما يعبر بعضهم: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه[19].

- ج ـ السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه:

---

[13] () النهاية في غريب الحديث والأثر, ابن الأثير (ص: 449).
[14] () شرح نخبة الفكر(ص/ 153).
[15] () النهاية في غريب الحديث والأثر, ابن الأثير (ص: 449).
[16] () جامع العلوم والحكم حديث العرباض (ص: 21).
[17] () أخرجه الترمذي(5/ 44 رقم 2676)، وهو حديث صحيح.
[18] () السنة قبل التدوين ص 18
[19] () الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (1/169).

قال الآمدي في تعريف السنة: وقد تطلق على ما صدر عن الرسول ه من الأدلة الشرعية مما ليس بتلو ولا هو معجز ولا داخل في المعجز([20]).

وقد ذكر ابن حزم أقسام السنة فقال: السنن تنقسم ثلاثة أقسام: قول من النبي ه, أو فعل منه عليه السلام, أو شيء رآه وعلمه فأقر عليه ولم ينكره ([21]).

وبهذا يتبين أن السنة عند الأصوليين هي: كل ما صدر عن النبي ه غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي([22]).

وبهذا يتبين الفرق بين هذه المصطلحات لهذا اللفظ الواحد بأن كل أهل العلم نظروا إلى السنة من منظار معين.

فالمحدثون نظروا إليها باعتبار كل ما صدر عن النبي ه.

والأصوليون نظروا إليها باعتبار ما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً.

والفقهاء نظروا إليها باعتبارها حكماً تكليفياً فهي أحد الأحكام التكليفية الخمسة.

وعلماء الاعتقاد نظروا إليها باعتبار ثبوتها بالدليل الشرعي فما يخالفها يعتبر بدعة فهي قسيم البدعة استناداً إلى ما جاء في حديث العرباض الذي سبق ذكره.

وهذا الإطلاق هو السائر في كتب العقيدة, وهو الغالب في الاستعمال عند هذا الإطلاق, سواء كان أمراً واجباً أو مستحباً أو مشروعاً.

2-الأثر:

تعريفه لغة: هو: بقية الشيء.

تعريفه اصطلاحاً: هو ما روي عن الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال.

وقيل: الأثر مرادف للحديث ([23]).

---

[20]() الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 1/169

[21]() الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 2/6

[22]() حجية السنة ص 68 السنة قبل التدوين ص 16

[23]() سح المطر على قصب السكر في اصطلاح أهل الأثر ص 21

3-الخبر:

تعريفه لغة: النبأ.

تعريفه اصطلاحاً: قيل: مرادف للحديث فيكون تعريفه مثل تعريف الحديث وهو: ما أضيف إلى الرسول ه من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خُلقي, فعلى هذا يكون الخبر مرادفاً للحديث، وقيل: هما متباينان فالحديث ما جاء عن النبي ه والخبر ما جاء عن غيره، وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق فالحديث ما جاء عن النبي ه والخبر ما جاء عنه أو عن غيره.

ومن الفقهاء من يقول: الخبر ما يروي عن النبي ه والأثر ما يروي عن الصحابة وأما أهل الحديث فيطلقون الأثر عليهما[24].

فالمراد هنا أن الخبر والأثر يطلقان ويراد بهما ما أضيف إلى النبي ه وما أضيف إلى الصحابة والتابعين وهذا رأي الجمهور, إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً والمرفوع خبراً[25].

تعريف الموضوعي:

الموضوع هو: محل العرض المختص به وقيل هو الأمر الموجود في الذهن المادة التي يبني عليها المتكلم كلامه[26].

ثانياً: تعريفه باعتباره مركباً يدل على علم معين.

لم يكن هذا الجانب من علم الحديث معروفاً بهذا الاسم إلا في هذا الزمن, ولذا لم يكن له تعريف سابق.

ويمكن أن يقال في تعريفه بأنه: جمع الأحاديث الواردة في موضوع واحد من موضوعات العلم وتخريجها ودراستها إسناداً وموضوعاً، أو هو علم يبحث في موضوع من موضوعات السنة النبوية جمعاً لمتونه ودراسة لها.

شرح التعريف:

جمع: فيها تنصيص على قصد الجمع للأحاديث في هذا الباب واستقصائها.

من موضوعات العلم: يشمل جميع أنواع العلم من عقائد, وعبادات, ومعاملات, وغيرها.

---

[24]() تدريب الراوي 1/185, 184.

[25]() المعجم الوسيط ص 1040

[26]() التعريفات للجرجاني(ص: 305).

موضوعاً: إشارة إلى أن الدراسة لموضوع الحديث أو الأحاديث وليست مجردة تحليلية لمتن واحد.

ودراستها إسناداً وموضوعاً: إضافة قصد الدراسة على تعريف الحديث الموضوعي يميزه عن تعريف الأجزاء الحديثية, وهذه الدراسة تشمل دراسة السند ودراسة المتن.

ما يتضمنه التعريف، وعلى التعريف يتضمن ما يلي:

1- النظر إلى موضوع معين, مثلاً صلاة العيدين.
2- جمع الأحاديث حول هذا الموضوع في وحدة واحدة.
3- ترتيب هذه الأحاديث في وحدات موضوعية أدق, مثلاً صلاة العيدين حكمها وقتهما سننها...إلخ.
4- دراسة هذه الأحاديث من حيث التخريج والحكم.
5- دراسة ما يستنبط من هذه الأحاديث مما يتعلق بالموضوع مع ذكر ما يؤيده من شواهد من القرآن الكريم أو القواعد الشرعية أو أقوال أهل العلم ويتبع ذلك ذكر المسائل الخلافية ما يحتاج إلى تفصيل ونحو ذلك مثل: صلاة العيدين فحديث يوجبها وحديث يجعلها سنة, فتدرس هذه الأحاديث وينظر في الجمع بينها وهكذا, وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في الصورة المثلى للحديث الموضوعي.

الفرق بينه وبين الحديث التحليلي: يكمن الفرق بينهما في أمر جوهري, وهو أن الحديث التحليلي ينطلق من الحديث الواحد لتحليله من جميع جوانبه اللغوية والاستنباطية وغيرهما, غير مرتبط بموضوع معين, ولا بأحاديث أخرى.

أما الموضوعي: فهو ينظر إلى الموضوع الواحد ومجموع الأحاديث الدالة عليه دون تحليل كل حديث فيما يدل عليه من مسائل, ولا شك أنهما يشتركان في مسائل وخطوات، وفي المراجع اللغوية أو شروح أحاديث وفي التخريج والحكم, وتفترقان في أصل الطريقة والعناصر التي تحتوي عليها الدراسة.

* * * * *

المبحث الثاني
أهمية الموضوع وأهداف البحث فيه

أولاً: أهمية الحديث الموضوعي:

هذا اللون من الدراسات الحديثية جد نافع, وخاصة في عصرنا الذي أفلست فيه الحضارات المادية, والمذاهب البشرية في حلّ مشكلات البشر وسد الفراغ الذي تعيشه معظم المجتمعات البشرية, لأنها ابتعدت عن هدي القرآن الكريم والسنة النبوية وعدالة الإسلام.

وتتجلى أهمية الحديث الموضوعي في عدة أمور منها:

أولاً: أن الدراسة النموذجية فيه: هي الاستقصاء في جمع النصوص المتعلقة بموضوع واحد –على قدر الوسع والطاقة- وفق منهج يجمع كل متعلقاتها, فيكون هذا الموضوع متكاملاً من حيث جمع رواياته وبذلك:

1- **يرد متشابه تلك النصوص إلى محكمها**, ويحمل مطلقها على مقيدها, ويفسر عامها بخاصها, ببعض ،يقول الإمام أحمد: (إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه, والحديث يفسر بعضه بعضاً) [27].
2- **ويتبين أيضا** –من خلال الاستقصاء- الصحيح من السقيم من هذه النصوص, وكذلك الشاذ والمنكر, وغير ذلك من العلل التي قد ترد على الأحاديث, وهذا لا يتم إلا من خلال جمع الروايات للحديث أو للأحاديث.

ثانياً: أن الدراسة الموضوعية تحقق مطلباً عظيماً, ألا وهو تكامل فقه الحديث, الذي هو الثمرة من دراسته, فالعبادات الشرعية كالطهارة, والصلاة وغيرها, يجب أن نتعلمها بأركانها وواجباتها وأحكامها وشرائطها, حتى نقيمها على أكمل وجه, ولا يتسنى ذلك إلا بجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد, فأحاديث الصلاة مثلاً: متفاوتة فيما تحمله من أحكام, فبعضها فيه صفتها مقتصرة على الأركان والواجبات, وبعضها تذكر شيئاً من السنن وأخرى تبين حكماً يتعلق بالصلاة كالسهو والشك..وهكذا.

---

[27]()لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي2/315.

ثالثاً: في الدراسات الموضوعية للأحاديث, تبرز لنا مكانة النبي ه وخصائصه, وما تميّز به من جوامع الكلم, وتتجلى أمامنا هذه الخصيصة والمزية بوضوح, وكذلك عندما نجمع أحاديث في صفاته ه وخُلقه تتبين لنا هذه الصفات بكل أبعادها وثمارها.

رابعاً: دارس الحديث الموضوعي لا يبدأ عمله من النص, بل من واقع الحياة فيركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقدية, أو الاجتماعية, أو الفقهية أو غيرها ويستوعب جميع ما أثير حول هذا الموضوع من إشكالات, ثم يطرح هذا الموضوع بين يديّ النصوص الحديثية, فهو يبدأ عمله من الحياة والواقع, ليستنبط منه القضية, ثم ينتهي إلى الشريعة –وذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة- في مقام التعرف على حكم هذا الواقع.

خامساً: إثراء المعلومات حول قضية معينة, فوقائع الحياة تتكاثر, وتتجدد باستمرار, وتتولد ميادين جديدة وقضايا ونوازل مستجدة على الساحة وغالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة, ويتم تحقيق ذلك من خلال قواعد شرعية عامة, ورؤى مستفيضة, وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة, فيخلصوا بحكم لهذه القضايا والنوازل.

سادساً: إن تجدد حاجة البشرية, وبروز أفكار جديدة, وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا بالدراسة الموضوعية للقرآن والسنّة, إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة, وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع نصوص الكتاب والسنة, وبذلك يتمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول هذا الموضوع, وعلى ضوء هدايات الكتاب والسنة نستطيع معالجة أي موضوع يجدّ في الساحة العلمية.

سابعاً: هذا النوع من الدراسات يفسح المجال لتأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها, فهناك علوم ومعارف ظهرت في العصر الحديث بمسميات جديدة $كالتربية# و$علم النفس# و$الطب# وفروعه ونحو ذلك.

فجمع الأحاديث لمثل هذه الموضوعات يبين مدى ارتباط الدين

الإسلامي بهذه المعارف, وأن لها أسساً كثيرة في السنة النبوية, ويفسح المجال للدارسين في شتى هذه التخصصات, فيحاول كل منهم تجلية ما يتعلق باختصاصه من السنة النبوية بصورة أعمق, ويسجل سبق سنة المصطفى ه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى –إلى تلك العلوم والمعارف كـ $الطب النبوي# والطب النفسي الذي يتجلى واضحاً في تعامله- صلوات ربي وسلامه عليه – مع الناس عامّة.

يقول ابن القيّم :: (وقد توفي رسول الله ه وما طائر يقلّب جناحيه في السماء إلاّ ذكر للأمة منه علماً, وعلّمهم كل شيء, وبالجملة فجاءهم بخيري الدنيا والآخرة برمّته, ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه)([28]).

ثامناً: أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يختلقون الطعون والشبهات للقدح في السنة النبوية, وكثير ممن تأثر بهم مازالوا يزينون للناس: أن الإسلام الذي نزل منذ ألف وأربعمائة سنة على أعراب يعيشون في البادية وفي الصحاري يرعون الغنم, فكيف يصلح هذا الدين لقوم يعيشون في القرن العشرين, ووصلوا إلى القمر..وغزو الفضاء.. ولا يمكن أن يُرد عليهم.. ويُجاب على تساؤلاتهم إلا بطرح علمي, وذلك بالجمع عن طريق الحديث الموضوعي, الذي يتبين لنا من خلاله كيف رسم النبي ه جميع ما يتعلق بمنهجية الحياة والسعادة في الدنيا والآخرة, فالسنة كفيلة في بيان الكليات والجزئيات من الدين وكونه صالحاً لكل زمان ومكان.

تاسعاً: إبراز مكانة النبي ه وخصائصه وما تميز به, فعندما تجمع مجموعة أحاديث في النية مثلاً تتجلى أمامنا هذه الخصيصة واضحة, مثل أن تجمع أحاديث في جوده وكرمه ه تتبين لنا هذه الصفة بكل أبعادها وثمارها وهكذا.

ثانيا: أهداف البحث في الحديث الموضوعي:

بناء على ما سبق تتجلى لنا أهداف دراسة الحديث الموضوعي ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

1- خدمة السنة النبوية في مجالاتها المتعددة.

2- جمع أحاديث موضوعات متفرقة بين الكتب لا يمكن جمعها إلا عن

---

[28]() إعلام الموقعين عن رب العالمين, لابن القيم 4/285-286 .

هذا الطريق.

3- استخراج النصوص للعلوم المستجدة والنوازل والمسائل الجديد والنوازل والمستجدات لتنزيل الأحكام عليها.
4- بيان تكامل النصوص فيتبين ما ظاهره التعارض والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد ويدخل في هذا معرفة الصحيح من السقيم والمنكر من المعروف والشاذ من المحفوظ.
5- تقديم السنة النبوية إلى الناس بأسلوب يناسب كل زمن ومستجداته وتلبي حاجات الناس الثقافية والعلمية وغيرها وتعطي صورة واضحة جلية عن ثراء السنة بالعلوم المختلفة التي أبرزت حديثاً بطابع عصري جديد.
6- الإجابة على شبهات المشككين في السنة النبوية ومكانتها وحجيتها حيث تفند تلك الشبهات وترد من خلال الجمع الموضوعي للحديث في أي مجال من المجالات.

* * * * *

المبحث الثالث
نشأة الحديث الموضوعي وتاريخه

أولاً: لمحة مختصرة عن نشأة علوم السنة وتغييرها:

1-السنة في العهد النبوي: كان الوحي ينزل على النبي ه فيبلغ الناس ما نزل عليهم من ربهم وقد أخبر النبي ه أنه أوتي القرآن ومثله معه بقوله ه: $ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه#[29] وهي السنة المطهرة فعلم الصحابة ن لها مكانها من الدين وحرصوا عليها كما حرصوا على القرآن الكريم فكانوا يأخذون عن النبي ه ويحفظون في صدورهم وقليل منهم من كان يعرف الكتابة ومن كان كذلك كان يكتب كما وقع من عبد الله ابن عمرو بن العاص م حيث قال أبو هريرة ط: (ما من أصحاب النبي ه أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) [30].

وكان هناك ثلاثة من الصحابة ن اشتهرت عنهم أحاديث عن النبي ه فيها كراهة كتابة الحديث وهم:

1- **ما رواه أبو سعيد الخدري ط قال**: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)[31].

2- **ما رواه أبو هريرة:**أن النبي ه بلغه أن ناساً قد كتبوا حديث فجمعه وأحرقه[32].

3- **ما رواه زيد بن ثابت** ط: أن رسول الله ه أمر أن لا يكتب شيء من حديثه[33].

فأخذ بعض أهل العلم من هذه الأحاديث أن كتابة السنة محظورة, لكن أجيب عنها بما يلي:

أما رواية أبي هريرة ط فضعيفة، وقد جاءت من طريق عبد

---

[29]() أخرجه أبو داود 4/ 328 رقم 4606 كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وأحمد 2/ 330 رقم 8369 . وهو حديث صحيح.

[30]() أخرجه البخار في صحيحه 1/ 39 رقم 113 . كتاب العلم، باب كتابة العلم .

[31]() أخرجه مسلم 3/ 2298 رقم 3004 كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث.

[32]() تقييد العلم ص/ 19

[33]() المرجع السابق 21

الرحمن بن زيد عن أبيه، وروايته منكرة، كما قال الذهبي وغيره (34).

وأما حديث زيد فضعيف أيضاً للانقطاع ويبقى حديث أبي سعيد فهو صحيح, لكن قال ابن حجر: (ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال الصواب وقفه على أبي سعيد, قاله البخاري وغيره) (35).

وعلى فرض صحة الرواية فليجمع بينها وبين ما ورد عن بعض الصحابة من كتابتهم وما ورد من إذن النبي ه لعبد الله بن عمرو ط بالكتابة(36) ومكاتبته للملوك والحكام وقوله في حجة الوداع: $اكتبوا لأبي شاة# (37), فللجمع مذاهب أهمها:

1- أن أحاديث النهي منسوخة بأحاديث إباحة الكتابة.
2- أن النهي كان عاماً والإذن كان خاصاً بمن طلب ذلك.
3- أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن خشية الالتباس بينهما(38), لكن الإجماع فيما بعد استقر على الكتابة.

السنة في عهد الخلفاء الراشدين:

رغم كثرة الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم وبداية ظهور الخلاف والفرقة الإسلامية إلا أن الحديث النبوي ظل سالماً من التحريف والتغيير ودخول الوضع فيه لما تميز به هذا العهد من ميزات أهمها:

1- **جمع القرآن الكريم,** بداية في عهد أبي بكر ط وانتهاء بعهد عثمان ابن عفان ط حيث جمع الناس على مصحف واحد.
2- **تثبت الصحابة في رواية الحديث** وحرصهم على التقليل من روايته ومنعهم الرواة من التحديث بما يعلو على فهم العامة, حتى لا يتقول الناس على رسول الله ه ولا يدخل في السنة ما ليس منها.

السنة بعد زمن الخلافة حتى عصر التدوين:

34() الجرح والتعديل 2/233، ميزان الاعتدال 2/564، وكل هذه الروايات ضعيفة لضعفه.
35() الفتح 1/208
36() كان عبد الله بن عمرو بن العاص م يكتب، فكانت عنده صحيفة يسميها الصادقة، وقد روى البخاري 1/ 39 130 عن أبي هريرة ط أنه قال: لم يكن أحد أكثر حديثا مني إلا ما كان من عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب.
37() أخرجه البخاري 3/ 165 رقم 2434 كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة.
38() للاستزادة راجع دراسات في الحديث النبوي 1/76-83

في هذا العصر بدأ الخلاف يدب أطرافه في العالم الإسلامي وبدأت الفرقة بالظهور وبدأت تستشرف وتقوى وكان من سمات بعض تلك المذاهب والفرق وضع الحديث بما يؤيد مذاهبها.

لكن كان في مقابل هؤلاء جهابذة العلماء الذين تصدوا لمحاولة الوضع والدس في الحديث النبوي الشريف فلم يكن يقبل من طريق أرباب هذه النحل وبدأ التثبت في الحديث وطلب الإسناد.

ومما برز أيضاً أن عهد الصحابة ن بدأ ينقص بوفاتهم أو استشهادهم في المعارك وكان من نتيجة ذلك بداية الرحلة في طلب العلم وبداية تدوين الحديث, وكان أول من أمر بتدوين الحديث من الخلفاء عمر بن العزيز ط حيث كتب إلى أبي بكر بن حزم : أن (انظر ما كان من حديث رسول الله ه فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء) ([39]).

وكان أول المستجيبين لهذه الدعوة الإمام محمد بن شهاب الزهري : المتوفى سنة: (125هـ).

السنة في عصر التدوين:

في هذا الوقت أي في المائة الثانية للهجرة أقبل العلماء على كتابة السنن وتدوينها وشاع ذلك في الطبقة التي تلي طبقة الزهري, فكتب ابن جريج بمكة ت (150) هـ وابن إسحاق (151) هـ والإمام مالك (179) هـ بالمدينة والربيع بن صبيح (160) هـ وابن أبي عروبة (156) هـ بالبصرة والإمام سفيان الثوري (161) هـ بالكوفة والإمام محمد بن عمرو (156) هـ بالشام والإمام معمر بن راشد (153) هـ باليمن وغيرهم.

وقد كان هؤلاء جميعاً في عصر واحد ولا يدري أيهم أسبق إلى جمع الحديث.

ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم على النهج على منوالهم([40]).

وقد أخذ التصنيف في هذا العصر منهجين هما:

- التصنيف على المسانيد والمراد به جمع حديث كل صحابي على

---

[39]() البخاري 1/194 رقم 100

[40]() الحديث والمحدثون ص 244

حده دون النظر إلى موضوع الحديث, مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام أبي الحميدي.

- التصنيف على الأبواب والمراد به جمع حديث كل موضوع على حده دون النظر إلى راويه من الصحابة مثل: (الصحاح, السنن, المصنفات, والجوامع, الموطآت).

وكان من سمات هذا العصر ما يلي:

1- جمع الأحاديث النبوية المسندة إلى النبي ه.
2- ذكر بعض أقوال الصحابة والتابعين ويظهر هذا في المصنفات والمسانيد بكثرة بينما تقل في الصحاح.
3- الاعتناء بذكر الإسناد من المصنف إلى النبي ه.
4- الاعتناء بالمقبول (وهو الصحيح و الحسن) وذكر شيء من الضعيف, إلا من اشتراط الصحة كالصحيحين.
5- عدم النص على الحكم على الحديث في الغالب, وإن كان بعضهم نص كالترمذي : أو يسن منهجاً عاماً كأبي داود السجستاني : وكانوا يذكرون الإسناد ويكتفون بذلك.
6- عدم الاعتناء بالتعليق على هذه الأحاديث فهم يكتفون بذكر العنوان كأحمد في مسنده فلم يضمنه أي تعليق, وإنما أورد أحاديث مسندة وكذا البخاري الذي اكتفى بذكر عناوين التراجم واستنبط منها فقه الحديث.
7- عدم اختلاط الحديث بغيره من كلام الناس حتى لو كان إماماً في الحديث.

وفي هذا القرن الثالث وما بعده تنوعت الكتابة في السنة النبوية فانبثق ومن هذا التنوع ما يلي:

1- التصنيف على المسانيد وهي الكتب الحديثة التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة وتنوعت المسانيد ومن أشهرها مسند الإمام أحمد ابن حنبل :, لكن انبثق منها مسانيد خاصة كمسند أبي بكر ط, وغيره.
2- التصنيف على الأبواب وهذه أكثر تشقيقاً وهي تعنى بجميع أبواب الدين، ومنها:

* **الجوامع:** وهي كل كتاب حديثي صنفه مصنفه على جميع

أبواب الدين من العقائد والأحكام والرقائق والآداب والتفسير والتاريخ والسير والفتن والمناقب والمثالب.

* **والجوامع** غالباً ما تعتني بأبواب الدين كلها مثل: جامع الثوري (161) هـ وجامع بن عيينة (198) هـ وجامع معمر بن راشد (154) هـ وجامع أبي بكر الخلال الحنبلي.

ويتبع الجوامع:

* **المستدركات وهي**: كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته على شرطه مثل المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم (405) هـ والمستدرك على الصحيحين لأبي ذر الهروي (434) هـ والمستدرك على الصحيحين للدارقطني (385) واسمه (الالزامات).
* **المستخرجات**: جمع مستخرج والمستخرج عند المحدثين أن يأتي المصنف المستخرج إلى كتاب من كتب الحديث فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب, فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ولو في الصحابي, وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سنداً يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة مثل:

1- مستخرج الحافظ بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (371).

2- مستخرج الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفراييني.

وهناك مستخرجات على غير الصحاح مثل:

1- مستخرج ابن أصبغ وأبي بكر بن منجويه وابن فرج القرطبي ثلاثتهم على سنن أبي داود (275).

2- مستخرج أبي نعيم الأصفهاني على التوحيد لابن خزيمة (430).

3- مستخرج أبي بكر بن منجويه والطوسي كلاهما على سنن الترمذي (279).

* **المجاميع:** جمع مجمع وهو كل كتاب جمع فيه مؤلفه أحاديث عدة مصنفات ورتبه على ترتيب تلك المصنفات التي جمعها فيه.

مثل الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله الحميدي (488) هـ وأيضاً

الجمع بين الأصول الستة لأبي الحسن الأندلسي المسمى التجريد للصحاح والسنن.

* **الزوائد**: والمقصود بها المصنفات التي يجمع فيها مؤلفوها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى ومن أشهرها كتاب: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (807) هـ وكتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (852) هـ.

تصنيف الكتب المهمة:

3- كتاب تهتم بجمع أكثر أبواب الدين لا سيما الموضوعات الفقهية:

وأشهر أسماء هذا القسم: السنن – المصنفات- الموطأت.

* **السنن:** هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية, وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط وليس فيها شيء من الموقوف أو المقطوع.

ومن أمثلتها: سنن أبي داود السجستاني (275) هـ وبقية السنن الأربعة.

* **المصنفات**: المصنف في اصطلاح المحدثين هو: الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة.

ومن أمثلتها: المصنف لابن أبي شيبة (235) هـ المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (211) هـ.

* **الموطآت**: هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية وتشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة فهو كالمصنف تماما إلا أن مؤلفه يضمنه بعض استنباطاته ومن أمثلته: موطأ مالك (179) هـ الموطأ لابن أبي ذئب (185) هـ.

4- المصنفات المشتملة على الأحاديث المتعلقة بجانب من جوانب الدين أو باب من أبوابه ومن أشهرها:

* الأجزاء: والأجزاء جمع جزء والجزء الحديثي يعني كتاباً صغيراً يشتمل على أحد أمرين:

1- إما جمع الأحاديث المروية عن واحد من الصحابة أو من بعدهم مثل: جزء ما رواه أبو حنيفة عن الصحابة لأبي معشر الطبراني (178) هـ.

2- وإما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل البسط

والاستقصاء مثل رفع اليدين في الصلاة للبخاري.

* الترغيب والترهيب: وهي الكتب الحديثية المرتبة على أساس جمع الأحاديث الواردة في الترغيب بأمر من الأمور أو الترهيب من أمر من الأمور المنهي عنها.

ومن أمثلة هذا النوع:

1- الترغيب والترهيب للمنذري (656) هـ.
2- الزهد والفضائل والآداب والأخلاق وهي كتب في موضوعات خاصة يفردها أصحابها في مؤلف خاص, وهذا القسم أخص من القسم السابق ومن أمثلته:
1- كتاب ذم الغيبة لابن أبي الدنيا (281) هـ.
2- كتاب ذم الدنيا.
3- كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (241) هـ.
4- كتاب الذكر والدعاء لأبي يوسف صاحب أبي حنيفة (182) هـ.
5- كتاب رياض الصالحين للنووي (676) هـ.

سمات هذه المصنفات:

ويمكن تلخيص أبرز السمات لكتب جمع الحديث لأبواب الدين أو أكثرها ما يلي:

1- أن الكتابة فيها تتسم بجمع الأحاديث دون دراسة أسانيدها.
2- خلوها من الشرح في الغالب أو التعليق إلا شيئاً يسيراً.
3- ذكر الحكم أو ما يدل عليه غالباً وهناك من لم يلتزم بذلك.

وهكذا استمر التأليف للشرح والاختصار والزيادة وغيرها إلى وقتنا الحاضر مما محله التفصيل فيه كتب تاريخ السنة.

ثانياً: نشأة الحديث الموضوعي:

التأليف والتصنيف في الحديث الموضوعي ظهرت بوادره زمن الصحابة رضوان الله عليهم وقد مر بعده بعدة مراحل إلى أن أخذ شكلاً استقلالياً حيث ألفت كتب وأجزاء.

ولعلنا نقسم نشأة الحديث الموضوعي – بناء على ما سبق في نشأة التأليف في السنة- على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الحديث الموضوعي زمن الصحابة حتى عصر التدوين.

المرحلة الثانية: الحديث الموضوعي في عصر التدوين وما بعده إلى الوقت المعاصر.

المرحلة الأولى: التصنيف الموضوعي زمن الصحابة حتى عصر التدوين:

ظهرت بوادر التأليف في الحديث الموضوعي في زمن الصحابة رضوان الله عليهم حيث جمع جابر رضي الله عنه منسك في الحج.

قال الحافظ الذهبي :: (وله منسك صغير في الحج) أخرجه مسلم([41]).

وقد وجد في هذا القرن من التابعين من كتب في موضوعات شتى حيث جمع عدة أحاديث في باب واحد منهم:

عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي (19-103هـ): وهو من أوائل من كتب في الموضوعات, قال ابن حجر : تعالى بعد قوله: أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري (....وهذا بالنسبة إلى الجمع بالأبواب, أما جمع حديث إلى مثله في باب واحد فقد سبق إليه الشعبي فإنه روي عنه أنه قال([42]): هذا باب من الطلاق جسيم وساق فيه أحاديث) ([43]).

بيد أن ما كتبه الشعبي : تعالى يتعلق بالأمور القضائية ربما لأنه كان قاضياً لذلك اضطر لتأليف تلك الكتب لاحتياجه إليها, ومنها:

كتاب الجراحات وكتاب الفرائض.

فعن أبي الحصين قال: لم يوجد للشعبي كتاب بعد موته إلا الفرائض والجراحات([44]).

وكذلك كتاب المغازي, فعن عبد الملك بن عمير قال: مر ابن عمر م بالشعبي : وهو يقرأ المغازي قال: كأنه شاهداً معنا([45]), وكتاب الطلاق السابق ذكره.

وكذلك أبان بن عثمان (20-105هـ) ممن صنف في الحديث

---

[41]() تذكرة الحفاظ 1/43 منسك جابر في صحيح مسلم 2/886 جمع الشيخ الألباني منسك جابر بن عبد الله من كتب السنة المختلفة في جزء لطيف مطبوع.

[42]() تدريب الراوي 1/94

[43]() المحدث الفاصل 609

[44]() تاريخ بغداد 14/148

[45]()تاريخ بغداد 14/146

الموضوعي فله كتاب في المغازي, روى يحي بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه لم يكن عنده خط مكتوب من الحديث إلا مغازي رسول الله ه أخذها من أبان بن عثمان فكان كثيراً ما تقرأ عليه وأمرنا بتعلمها[46].

وكذلك موسى بن عقبة القرشي (60-141هـ): أدرك ابن عمر رضي الله عنه وله كتاب في المغازي.

فعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا قيل له مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة.

ويمكن استخلاص أهم ميزة لهذا العصر فيما يتصل بالحديث الموضوعي وهي جمع أحاديث موضوع واحد فكان ذلك نواة التأليف في الحديث الموضوعي.

---

[46]() دراسات في الحديث الموضوعي 1-143

المرحلة الثانية: التصنيف الموضوعي في القرن الثاني وما بعده:

كان التأليف الموضوعي في هذا العصر امتداداً للعصر السابق.

وممن صنف فيه في هذا بداية هذا العصر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (80-150هـ): وكان من أول من صنف الكتب, قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي: من أول من صنف الكتب, قال: ابن جريج وابن أبي عروبة[47].

وقد جمع ابن جريج بين صورتين من صور التصنيف الموضوعي في مؤلفاته حيث ألف كتاب السنن وهو يحتوي على مثل ما يحتوي عليه كتب السنن مثل الطهارة والصيام وله كذلك كتاب الحج أو المناسك وكتاب التفسير[48].

وله كتاب في المغازي قال معمر بن عثمان الجزري: كتبت عنه صحيفتين في المغازي, فاستعارهما مني رجل فذهب بهما ولم أعد قبلهما كتاباً[49].

وله كذلك كتاب الجامع وهو مرتب على الأبواب الفقهية[50].

وكذلك سعيد بن أبي عروبة (80-155هـ): وهو من أول من صنف الكتب وقد جمع في الصلاة والطلاق ومناسك الحج.

قال أبو خلدة قلت لأبي العالية: أعطني بعض كتبك فقال: ما كتبت شيئاً ولو كنت كتبت شيئاً لأعطيتك وأكرمتك, وأني كتبت ثلاثة أشياء تحية الصلاة وأبواب الطلاق ومناسك الحج[51].

زائدة بن قدامة (161هـ) له كتاب في الزهد والتفسير والقراءات, قال عنه الذهبي: وقد كان صنف حديثه وألف في القراءات وفي التفسير والزهد[52].

وكان لابن المبارك (118-181هـ) كتاب الجهاد وكتاب الزهد ولأبي يوسف صاحب أبي حنيفة (113-182هـ) كتاب الخراج وكتاب الذكر والدعاء وغيرها من المصنفات في هذا العصر ثم قائلاً هذا

---

[47]() تهذيب الكمال 4/561

[48]() الرسالة المستطرفة 34 وانظر: دراسات في الحديث النبوي 1/278

[49]() العلل ومعرفة الرجال 1/43

[50]() الرسالة المستطرفة 41

[51]() العلل ومعرفة الرجال 3/441.

[52]() سير أعلام النبلاء 7/377.

التصنيف من الصحاح كصحيح الإمام مسلم : (256) فقد جمع أحاديث كل موضوع بمروياته, ومثله السنن الأربعة.

وما تلاً المائة الثلاثة من تفريع للتصنيف حتى صنفت في أبواب معينة كالزهد والترغيب والترهيب وغيرها, وهكذا نجد أن التصنيف الموضوعي للأحاديث في المرحلة الثانية من مراحل نشأته بدأ يأخذ الشكل الاستقلالي.

ثم إن التصنيف الموضوعي بعد هذا القرن –القرن الثاني- إلى هذا العصر تنوع فشمل جميع صوره الآتي ذكرها.

وهكذا نجد أن التصنيف الموضوعي موجود منذ زمن الصحابة وما بعده من القرون إلا أنه لم يكن شائعاً بهذا الاصطلاح وإنما كان يدخل ضمن عموم تدوين السنة النبوية, وماجدّ في المتأخرين هو معرفة هذا النوع بهذا الاصطلاح (التصنيف الموضوعي).

وقد تمثل التصنيف الموضوعي في عدة صور في المراحل كلها بما يلي:

1- **جمع الأحاديث** في باب ضمن كتاب واحد ثم تدوينه, مثل ما سبق من الصحاح وأبرزها صحيح الإمام مسلم : وكذلك السنة بعامة.
2- **جمع أحاديث** في أبواب متشابهة في مصنف واحد, مثل ما سبق في كتب الترغيب والترهيب, ورياض الصالحين وغيرها.
3- **جمع الأحاديث** في الموضوع الواحد في جزء واحد كبير أو صغير, مثل ما سبق في جزء رفع اليدين للإمام البخاري : وجزء في الدعاء لعبد الغني المقدسي الحنبلي, وكذا جزء في الأمر بالمعروف له وغيرهما.
4- **شرح كتاب من الكتب السابقة** التي نهجت المنهج الموضوعي, مثل: كتب الشروح لما سبق.

الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة:

لقد برز الحديث الموضوعي بصورة أكثر وضوحاً في الدراسات المعاصرة منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري وأخذ أشكالاً وأنماطاً متنوعة مقتبسة من الصور السابقة حتى جاءت الأقسام العلمية المتخصصة مثل أقسام السنة النبوية والحديث وقد وسعوا بعض الصور السابقة ومن أهم صور الدراسة والتأليف في الحديث

الموضوعي المعاصر ما يلي:

1- شرح كتاب من كتب الحديث السابقة التي نهجت منهج الجمع الموضوعي ومن الدراسات التي ظهرت حديثاً, مثل: (فتح المنعم بشرح مسلم) د. موسى شاهين لا شين, حيث جمع كل الروايات في الباب الواحد ثم بدأ بشرحها على المعنى الإجمالي ثم المباحث اللغوية ثم المسائل المستنبطة من الحديث.
2- جمع أحاديث في موضوعات كليّة مثل: أحاديث الصبر في قسم السنة بكلية أصول الدين.
3- جمع أحاديث في موضوعات ودراستها من حيث المتن.
4- الشرح والاستقصاؤ للموضوع انطلاقاً من حديث واحد مثل: حديث بعث معاذ إلى اليمن رواية ودراية, وحديث رؤية المؤمن للدكتور عبدالله اللحيدان.
5- جمع روايات الحديث الواحد مثل حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها للشيخ عبد المحسن العباد.
6- ما استحدث في الحاسب الآلي من برامج مساعدة جمعت الأحاديث ذات الموضوع الواحد, وإن كان هذا وسيلة لكن جعلته صورة مستقلة لأهميته وإحداثه نقلة نوعية في البحث العلمي.

* * * * *

المبحث الرابع

الصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها الحديث الموضوعي

تتمحور الصورة المقترحة مع آلية البحث الإجمالية للتأليف في الحديث الموضوعي في المعالم الآتية:

أولاً: جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع المراد بحثه بمختلف وسائل الجمع مثل:

* استعراض فهارس الكتب أو استعراض الكتب نفسها.
* الرجوع إلى الكتب الجامعة مثل: المعجم المفهرس – جامع الأصول - المطالب العالية – مجمع الزوائد – مفتاح كنوز السنة.
* الرجوع إلى الحاسب الآلي, وقد تطورت وسائل البحث فيه.

فإذا كان مجال الدراسة بحث علمياً كالرسائل الجامعية أو بقصد حكم شرعي في نازلة من النوازل أو غيرها.

فلابد من استعراض الكتب بدقة, ولا يكتفي بالرجوع إلى الكتب الجامعة (جامع الأصول-المعجم المفهرس...) لأن الذين جمعوها باجتهادهم وكذلك حال استخدام الحاسب للرجوع إلى مختلف الكلمات والجمل والمعاني الدالة على الموضوع. وهذه الخطوة أصعب خطوة وأشقها, وتحتاج من الباحث الصبر والجلد وعدم الملل.

ثانياً: تخريج الأحاديث والحكم عليها سواء بحكم أهل العلم أو بدراستها ويحكم عليها وذلك لما يحتاج دراسة.

وفي الدراسات الحديثية يكون التخريج على أحد منهجين:

المنهج الأول: التخريج الموسع وذلك بذكر جميع المصادر التي يستطيع الباحث الوصول إليها, وترتيبها حسب المنهج الذي يكون في مخطط البحث, فالتخريج هنا والتوسع في طرق الحديث هدف لذاته.

المنهج الثاني: التخريج المختصر وذلك بذكر أهم مصادر التخريج وأهم طرق الحديث والحكم عليها ولا يتوسع في المصادر والطرق لأن الهدف هنا هو الوصول للحكم النهائي على الحديث والحكم يكون بذكر أقوال أهل العلم والترجيح بينها عند التعارض.

أما الأحاديث التي لم يحكم عليها أهل العلم أو فيها علة ظاهرة فهذه لابد أن يحررها الباحث ويخرج بنتيجة واضحة فيها, وهذا المنهج هو المراد في الدراسات الحديثية الموضوعية.

ثالثاً: تصنيف الأحاديث في وحدات, ففي كل عنصر يجمع ما يخصه من الأحاديث, وهذه التي اصطلح عليها في منهج البحث العلمي بأن يقسم الكتاب إلى أبواب والباب يشمل فصول والفصول تشمل مباحث والمباحث تشمل مطالب والمطالب تشمل مسائل وهكذا.

رابعاً: الكلام عن الغريب أو ما يحتاج إلى بيان وذلك بالرجوع إلى كتب الغريب أو شروح الأحاديث أو كتب اللغة.

خامساً: دراسة هذه الأحاديث في ضوء ما يلي:

1- استنباط ما دلّ عليه الحديث أو الأحاديث.
2- تعزيز هذا الاستنباط بما يدل عليه من القرآن الكريم.
3- ذكر القواعد الشرعية المستنبطة من هذا الاستدلال, أو ذكر القواعد المريدة له.
4- ذكر ما يعضد ذلك من سؤال الأئمة، ومن الصحابة، والتابعين ومن بعدهم، ولا بأس بذكر ما قيل من الشعر.
5-عندما تكون المسألة أو القضية فيها خلاف بين أهل العلم نتيجة التفاوت في الاستنباط من تلك الأحاديث أو غيرها أو معارضتها لقواعد أو ضوابط أو غيرها فيجب على الباحث أن يحررها, مبتدئاً بما دلّ عليه الحديث, وفقهياً بالترجيح لما يؤيده من الأقوال وقرائنه.
6- ذكر المسائل المعاصرة التي ينطبق عليها الحديث أو ما يستنبط منه مع محل الشاهد.
7- في الخاتمة تحرير النتائج التي توصل إليها الباحث.

بقي أن أشير إلى كيفية صورة البحث الإخراجي فكثيرون يسألون عن هذا الأمر, وللإجابة على ذلك أقول: هناك طريقتان كلاهما سليمتان:

الأولى: ذكر الحديث أو الأحاديث بعد ذكر العنوان مباشرة الدالة عليه, ثم ذكر الاستنباطات والتعليقات, وهذه الصورة أدلّ من الناحية الشكلية على الحديث الموضوعي.

الثانية: تفقيط العنوان الرئيس إلى مسائل ثم ذكر المسألة والحديث الدال عليها, وهذه الصورة يرجحها بعض الباحثين لأنها أقرب إلى صورة الموضوع نفسه.

وأقول: لا مشاحة في الاصطلاح إذا حقق الهدف الرئيسي من البحث وهو –كما سبق- جمع الأحاديث وتخريجها ودراستها للموضوع الواحد.

وبهذا تتم صورة البحث في الحديث الموضوعي.

* * * * *

ضوابط عامة للبحث في الحديث النبوي بعامة وللحديث الموضوعي بخاصة

لعل من المناسب وقد استعرضنا ما يتعلق بالحديث الموضوعي أن أذكر باختصار في ختام هذه الدراسة إلى بعض الضوابط العامة للبحث في الحديث النبوي بعامة والحديث الموضوعي بخاصة لعلاقتها الوطيدة بذلك.

1- رأس هذه الضوابط إخلاص النية لله تعالى في طلب الحديث فإذا عدمت النية الصالحة عدمت بركة العمل أو ضعفت.
2- كثرة القراءة في الكتب الحديثية مثل الصحيحين والسنن وغيرها, وهذه ثروة علمية تفيد الباحث فوائد لا حصر لها من أهمها تصور الشمولية النصوص.
3- سعة اطلاع الباحث ضمن الموضوع الواحد المراد بحثه وكثرة القراءة فيها وذلك حتى تستكمل جوانب البحث ومن جميع أطرافه فلا يفوت ما قد يغير مجرى البحث ويلغي أهمية الدراسة فإذا أردنا استنباط حكم شرعي أو دراسة علمية جامعة فلابد من استقصاء تام لكل ما يدور في فلك هذا الموضوع ويؤثر فيه ويمت له بصلة.
4- الإطلاع على العلوم المساندة لعلم الحديث وبخاصة: كتب اللغة – فبها يفهم الغريب – وكتب الأصول والفقه والقواعد الفقهية والتفسير بالمأثور وغيرها مما يساعد في تكميل جوانب البحث والوصول إلى نتيجة مرضية.
5- الإلمام بعلوم اللغة العربية بعامة ومن ضمنها دلالات الألفاظ ومعاني الحروف –مع وجود رصيد محفوظ منها - .
6- الرغبة والقناعة الكاملة من الباحث فيما يبحثه حتى يفيد نفسه غيره.
7- التدريب المستمر على البحث وسلوك طرق متعددة ومتنوعة للبحث مع التقويم الموضوعي الشامل للعمل بشكل مستمر وسؤال أهل العلم فيما يجهله مع المناقشة الجادة الهادفة.
8- الأمانة العلمية بكل أبعادها ومجالاتها.

9- الاهتمام بما يثري الناحية العلمية والعملية بالإضافة إلى ما سبق وذلك بالأمور التالية:
- المناقشة مع الآخرين.
- التطبيق العملي.
- التدريس وهو من أفضل ما يثري الناحية العلمية لأنه مجال مناقشة وتدرب.
- المجالسة وذلك بتنوع الجلساء من هو أكبر ومقارن ومن هو أقل وتكون هذه المجالسة بقدر معين.
- السفر لأجل البحث ويكون أيضاً بقدر.
- تمرين النفس والعقل على الاستنباط وعدم الاكتفاء بذكر الأقوال وهذه من المهمات وبخاصة بحث الحديث الموضوعي.
- الاستفادة من مباحث الخلاف وتمرين النفس عليها وطرائق الترجيح.
- القراءة فيما كتبه المعاصرون والمجاميع العلمية في المسائل المستجدة وهذا يقرب الصورة أمام الباحث.
- إبراز الجوانب التربوية والنفسية والاجتماعية وغيرها التي تحتوي السنة النبوية في مجالاتها المختلفة وربطها بالواقع وبالعلوم المعاصرة مع الحاجة إلى الاستدلال لها وتقعيدها.

* * * * *

مثال تطبيقي للحديث الموضوعي في صورته المطلوبة السماحة واليسر في الإسلام

مدخل:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين, وعلى آله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين, وبعد:

فلقد بعث الله تعالى محمداً ه وجعله خاتم النبيين ودينه خاتم الأديان فأتم به النعمة وأكمل الدين, قال سبحانه: ژچچچچچچچچڈڈژ [المائدة: 3].

فدين الإسلام هو الدين الذي نسخ به الله تعالى سائر الأديان, وجعله متميزاً عليها, فكان ديناً كاملاً يتصف بالشمول والكمال والوسطية والاعتدال والقيام على اليسر والسماحة, فكانت حاجة الناس إلى هذا الدين حاجة ضرورية, وذلك لقيام مصالحهم في الدنيا والآخرة عليها, وليعيشوا في ظلها وهم آمنون وهذه مقاصد عظيمة للدين, قال ابن القيم : معبراً عن أهمية المقاصد: (الفقه الحي الذي يدخل على القلوب بدون استئذان), ثم قال: (إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها, ورحمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة) (53).

وإذا كان من حكمة بعثته ه رفع الإصرار والأغلال الواقعة على الأمم من قبلنا فهو دليل على أن من أبرز سمات هذا الدين, قيامه على السماحة واليسر, يقول سبحانه: ژچچچچچچچچچچڈڈڈڈڈژژڑڑکککککگگگگگگگگگںںڻژ [الأعراف: ١٥٧].

والنصوص من القرآن الكريم والسنة المشرفة متضافرة على هذا المعنى, أذكر منها, منها قوله تعالى: (ھ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ۓ) [الحج: 78].

---

(53) إعلام الموقعين .

وقوله ه: $إن هذا الدين يسر, ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه# (54).

وكما أن النصوص القولية ظاهرة في تقرير هذا المبدأ فالسنة العملية جرت بذلك فكان منهج اليسر تطبيقاً لما اتصف به هذا الدين وكما اتخذه الرسول ه منهجاً في حياته:فما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما (55).

لكن الضابط لتحديد منهج اليسر الذي يكون التعامل فيه سواء بين العبد وربه, أو بين العبد والعباد هو الدليل الشرعي, وهذا يخرج ما قد يفهم إن اليسر بناء رغبات الناس, أو ما تحدده شهواتهم, أو ما تراه عقولهم.

ومن هنا تضافرت النصوص الشرعية في تحديد مجالات اليسر ورفع الحرج وعدم التضييق على العباد التي سأفصل شيئاً منها في هذا البحث, مقتصراً على ما يدل عليه المقام فحسب دون استقصاء شامل وذلك في ضوء المباحث الآتية:

المبحث الأول: مجالات اليسر في السنة النبوية.

المبحث الثاني: استخلاص ما ذكره أهل العلم من القواعد الشرعية المستنبطة من هذه النصوص.

المبحث الثالث: بعض تطبيقات السلف لهذا المبدأ.

المبحث الرابع: آثار الابتعاد عن منهج التيسير.

المبحث الخامس: نتائج البحث.

وكل ما سبق أبحثه باختصار لأن الهدف هو تطبيق منهجية البحث في الحديث الموضوعي النظري من جميع جوانبه وقد اتخذت الطريقة الأولى هي ذكر الأحاديث أولاً.

ثم إبراز منهجية اليسر في التشريع الإسلامي إجمالاً.

هذا ما قصدت والله أسأل التوفيق والتسديد والصفح والعفو إنه ولي ذلك والقادر عليه.

54() أخرجه: البخاري 1/93 رقم 39 كتاب الإيمان, باب الدين يسر.

55() أخرجه: البخاري رقم 6126 كتاب الأدب, باب قول النبي ه $يسروا#.

المبحث الأول

مجالات اليسر في السنة النبوية

أولاً: بناء الدين على اليسر والسماحة:

فقد وردت في ذلك نصوص كثيرة منها:

أ- عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ه: $إن هذا الدين يسر, ولن يشاد أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة# [56].

ب- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ه سئل: أي الإيمان أحب إلى الله؟ فقال: $الحنفية السمحة#, وفي لفظ: $بعثت بالحنفية السمحة#[57].

وأصل الحنف: ميل عن الضلال إلى الاستقامة, والحنيف: المائل إلى الإسلام, والحنيف عند العرب: ما كان على دين إبراهيم –عليه السلام- والحنفية: هي ملة الإسلام, والسمحة: السهلة[58].

ج- عن عروة الفقيمي ط قال: كنا ننتظر النبي ه فخرج يقطر رأسه من وضوء الغسل فصلى فلما قضى الصلاة: جعل الناس يسألونه يا رسول الله: أعلينا حرج بكذا؟ فقال رسول الله ه: $لا يا أيها الناس: إن دين الله عز وجل: في يسر, إن دين الله عز وجل في يسر#[59].

د- عن محجن بن الأدرع قال: (إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر, وكره لها العسر) [60].

هـ- روى الإمام أحمد بسند صحيح: (إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره)[61].

و- عن أبي هريرة ط أن النبي ه قال: $إنما بعثتم ميسرين ولم

---

[56]() أخرجه: البخاري 1/93 رقم 39 في الإيمان, باب الدين يسر.
[57]() أخرجه: أحمد في مسنده 5/266 والطبراني في الكبير 11/رقم 11571.
[58]() العباب الزاخر 1/ 392 ، وانظر: المعجم الوسيط 1/ 203
[59]() أخرجه: أحمد 5/69 رقم والطبراني في الكبير 17/146رقم 13818
[60]() أخرجه: الطبراني الكبير 20/ 298 رقم 707.
[61]() أخرجه: أحمد بسنده 4/338 رقم 15978بسند حسن.

تبعثوا معسرين#.

فدلت هذه الأحاديث بجموعها على أن دين الله تعالى يسر كما وصفه النبي ه وكل ما جاء به فهو يسر وبوّب البخاري : للحديث الأول بقوله: (باب الدين يسر, وقول النبي ه: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) (62).

قال الحافظ ابن حجر : معلقاً على هذه الترجمة: أي دين الإسلام ذو يسر, أو سمى الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله, لأن الله تعالى رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم, ومن أوضح الأمثلة له: أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم(63).

ووصف الدين بأنه يسر جاء في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع, فقد قال سبحانه: (ھ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ) [الحج: 78].

والحرج: الضيق والشدة, وضده اليسر والسماحة واللين.

وقال بعد سياق فريضة الصيام: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ) [البقرة: 185], وقال في آية أخرى: ژ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڑ [المائدة: ٦].

ثانياً: اليسر في التوحيد:

إن من أوضح مجالات اليسر والسماحة في التوحيد هي في تقرير لهذا المبدأ الواضح المفهوم الذي لا غبش ولا يصح الإسلام به.

ووجه ذلك: أن مبنى هذا الدين على عبادة الله وحده لا شريك له, وهذا المبنى لا يحتاج إلى إيراد النصوص فهي أكثر من أن تحصى, لكن نذكر من هذه النصوص على سبيل المثال:

فمنها حديث ابن عمر م: $بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا# (64).

وحديث معاذ بن جبل ط قوله: $إنك تقدم على أهل الكتاب فإذا جئتهم فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(62) أخرجه: أحمد في مسنده 1/236 رقم 2107

(63) فتح الباري 1/93.

(64) أخرجه: البخاري 1/ 9 رقم 8 كتاب الإيمان, باب دعاؤكم إيمانكم, ومسلم 1/ 45رقم 16 كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام..

رسول الله# [65].

ويظهر اليسر في ذلك أيضاً: بأن الله تعالى لم يكلف العباد بعبادة غيره سبحانه فهو خالق الكون الرزاق الحكيم الرحيم الرؤوف الرحمن له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فلو جعل وسائط في عبادته لكان هناك كلفة ومشقة فسبحانه من حكيم عليم رؤوف رحيم.

ثالثاً: اليسر في بقية العبادات:

هناك أحاديث تدل على وجود اليسر في العبادات على وجه العموم منها:

قوله ه: $هلك المتنطعون». قالها ثلاثا. أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم) [66].

وقوله ه: $خير العمل أدومه وإن قل#[67], وحديث عائشة –رضي الله عنها- أن النبي ه قال: $عليكم ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا#[68].

ومنها: ما رواه أنس بن مالك ط قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ه يسألون عن عبادة النبي ه فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر، ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ه فقال : $أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني#[69].

أما على وجه الخصوص, فيظهر ذلك في جميع أنواع العبادات وهي:

1-مظاهر اليسر في الطهارة:

---

[65]() أخرجه: البخاري 9/ 140رقم 7372 كتاب التوحيد, باب ما جاء في دعاء النبي ه أمته إلى ...

[66]() أخرجه: مسلم في صحيحه 4/ 20 55رقم 2670 في كتاب العلم, باب هلك المتنطعون.

[67]() أخرجه: البخاري 1/101 رقم 43 في الإيمان, باب أحب الدين إلى الله أدومه.

[68]() أخرجه البخاري1/ 17 رقم 43 كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه.

[69]() أخرجه: البخاري 9/104 رقم 5063 في النكاح, باب الترغيب في النكاح.

ويظهر اليسر في تقريرها من حيث المبدأ, ومن حيث الكيفية, ومن حيث العجز عنها فمن حيث المبدأ يظهر فرض الطهارة حال أداء العبادة أو حال ارتفاع الحدث, ومن حيث الكيفية فجعلها سهلة ميسرة كل يستطيعها, ومن حيث العجز عنها جعل بدلاً عنها التيمم.

وعلى التفصيل مثلا:

أ- **طهارة الماء**: فجعل الأصل في الماء الطهارة, جاء في ذلك قوله ه: $الماء طهور لا ينجسه شيء# ([70]).

ب- **طهورية ماء البحر**, قال ه: $هو الطهور ماءه الحل ميتته#([71]).

ج- **أن الماء إذا بلغ قلتين فإن النجاسة لا تؤثر فيه ما لم يتغير**, لقوله ه: $إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث#([72]), وفي ذلك أحاديث أخرى([73]), فاتفقوا على أنه ينجس إلا إذا تغيرت أحد أوصافه الثلاثة: (الطعم واللون والرائحة) قليلاً كان أو كثيراً, واختلفوا فيما إذا لم تتغير أحد أوصافه على قولين:

الأول: أن الماء القليل ينجس بملاقاته للنجاسة وإن لم يتغير أحد أوصافه, وأما الكثير فلا ينجس إلا بالتغير, وهذا القول قول جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة.

الثاني: لابد من التغير.. وهذا قول المالكية([74]).

د- **تطهير بول الصبي**: أخرج الشيخان عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ه فأجلسه ه في حجره فبال على ثوبه, فدعى بماء فنضحه ولم يغسله.

هـ- **تطهير الأرض**: ويدل على ذلك حديث الأعرابي الذي بال في المسجد.

وهو ما أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ط أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ه: $دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء ، - أو سجلا من ماء - فإنما

---

[70]() أخرجه أبو داود 1/ 25رقم 67 في الطهارة, باب ما جاء في بئر بضاعة.
[71]() أخرجه أبو داود 1/ 31رقم 83 في الطهارة, باب الوضوء بماء البحر.
[72]() أخرجه أبو داود 1/ 32رقم 63 في الطهارة, باب ما ينجس الماء.
[73]() جامع الأصول 7/64,63
[74]() سبل السلام 1/20

بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين# [75].

و- **تطهير النعل**: يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن أبي هريرة ط: قال: (إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور)[76].

ز- **السواك**: فإن النبي ه لم يأمر الناس به للمشقة بذلك فقد قال ه: $لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك#[77].

ح- **التيمم**: فقد جعله سبحانه وتعالى بدل عن الوضوء عند فقدان الماء أو التضرر في استخدامه حال الوضوء والغسل, فقال سبحانه: ژ ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒژ [المائدة: ٦].

وكذلك حديث عمار ط: فعن الأعمش عن شقيق قال : كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى الأشعري فقال له أبو موسى لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهرا أما كان يتيمم ويصلي فكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة ژﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃژ فقال عبد الله لو رخص لهم في هذا لأوشكوا إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا الصعيد قلت وإنما كرهتم هذا لذا قال نعم فقال أبو موسى ألم تسمع قول عمار لعمر بعثني رسول الله ه في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة فذكرت ذلك للنبي ه فقال إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا فضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها ثم مسح بها ظهر كفه بشماله، أو ظهر شماله بكفه ثم مسح بهما وجهه فقال عبد الله أفلم تر عمر لم يقنع بقول عمار[78].

ط- المسح على الخفين, فجعل الله مسح الخفين بدلاً عن غسل الرجلين في الوضوء تخفيفاً على العباد.

2- مظاهر اليسر في الصلاة:

تتجلى مظاهر اليسر في الصلاة في نواحي عدة منها:

أ- تقرير مبدأ الصلاة في هيئتها, وطريقة أدائها, فلم تكن بالقدر المعجز الذي لا يستطاع.

ب- تقرير ذلك في عددها, حيث لا تجب في اليوم سوى خمس

---

[75]() أخرجه البخاري 9/ 37رقم 6128 كتاب الأدب، باب قول النبي ه يسروا ولا تعسروا ومسلم 1/ 236 رقم 284. كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره.

[76]() أخرجه: أبو داود 1/ 148 رقم 385 في الطهارة, باب في الأذى يصيب النعل.

[77]() أخرجه: البخاري 2/ 5 رقم 887 باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت.

[78]() أخرجه البخاري 1/ 96 رقم 347 كتاب التيمم، باب التيمم.

مرات على كيفية مخففة, يدل عليه حديث الإسراء والمعراج الذي يبين أن الصلاة كانت خمسين صلاة ثم خففت إلى خمس مع بناء أجر خمسين فضلاً من الله ونعمة.

ج- مشروعية قصر الصلاة للمسافر وجمع الصلوات للحاجة إلى الجمع كالمرض أو المطر أو السفر أو وجود المشقة.

د- مشروعية سجود السهو لجبر الخلل الحاصل نقصاً أو زيادة أو شكاً في الصلاة.

هـ- عدم فرض النبي ه صلاة التراويح في رمضان خشية المشقة على الناس كما في حديث عائشة رضي الله عنها المشهور: أن رسول الله ه خرج من جوف فصلى في المسجد, فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك, فاجتمع أكثر فيهم, فخرج رسول الله ه في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك, فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم رسول الله ه حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر أقبل على الناس, ثم تشهد فقال: أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة, ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها([79]).

7- تخفيف الصلاة على الجماعة وعدم إطالتها إطالة غير مستحبة, كما في حديث معاذ بن جبل ط أن قومه شكوا إلى رسول الله ه تطويل قراءته في العشاء فقال النبي ه: $أفتان أنت يا معاذ#؟([80]), وغير ذلك كثير.

3-مظاهر اليسر في الزكاة:

يظهر ذلك في:

1- تقريرها من حيث المبدأ, وكافي ذلك من الحكمة العظيمة, ففيها: توسعة للفقراء, وزكاة المال وطهرة له وتطهيراً لقلب المخرج لها, وإشعاراً بالتعاون والتكاتف بين الناس.

2- في مقدارها سواء كانت من النقدين, أو الماشية, أو الزروع والثمار ففي الماشية لابد أن تكون سائمة أغلب الحول, وفي الزروع إذا

---

[79]() أخرجه: البخاري 63 رقم 1129في صلاة التراويح, باب فضل من قام رمضان.

[80]() أخرجه: البخاري 2/ 63 رقم 1129 في الأذان, باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة, ومسلم 1/ 339رقم 465 في الصلاة, باب القراءة في العشاء.

كانت تسقى ففيها نصف العشر, وإذا كانت لا تسقى ففيها العشر, وهذا الواجب لا يمثل إلا نسبة صغيرة من مال فائض عند المالك, ومن المعلوم أنها لا تجب في كل ما يملك الإنسان فالدار التي يسكنها والمركب الذي يركبه وكل ما يستهلكه لا زكاة فيه.

3- في وقت إخراجها, فمن شرط ذلك أن يحول عليها الحول فلا تخرج إلا مرة في العام.

4-مظاهر اليسر في الصيام:

يتجلى ذلك:

1- تقريره من حيث المبدأ وما في ذلك من الحكمة العظيمة على نفس الإنسان وعلاقته بخالقه, وما فيه من فوائد لجسده, وشعوره وإحساسه بالآخرين ففي حديث أبي هريرة ط أن رسول الله ه قال: $الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يجهل وإن امرؤ قاتله ، أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها#([81]).

2- في وقته, ففرض في شهر رمضان فقط, وهو شهر في السنة, فنسبته أقل من العشر في وقت ابتداءه وانتهاءه فهو يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

عن الشعبي عن عدى بن حاتم قال لما نزلت هذه الآية ژچچچچ چچچژ. قال أخذت عقالا أبيض وعقالا أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك لرسول الله ه فضحك فقال: «إن وسادك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار». قال عثمان (إنما هو سواد الليل وبياض النهار)([82]).

وقد نهى رسول الله ه عن الوصال. فعن عبد الله ط أن النبي ه واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم قالوا إنك تواصل قال: $لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى#([83]).

---

[81]() أخرجه البخاري3/ 31 رقم 1894 كتاب الصيام، باب الصيام جنة. والنسائي4/ 164 رقم 2217 واللفظ للنسائي.

[82]() أخرجه أبو داود 2/ 276 رقم 2351

[83]() أخرجه البخاري 3/ 37 رقم 1922 كتاب الصوم، باب بركة السحور.

وقد قال تعالى في الصيام بعد بيان شيء من أحكامه: (ُ ُ ّ ّ ٰ ٰ ُ ُ ٍ)[البقرة: 185], مما يبين أن المقصود من شرعية الصيام تهذيب النفس والوصول بها إلى مراقي التقوى وليس العسر والمشقة بالإمساك عن الطعام والشراب.

5-مظاهر اليسر في الحج:

تتجلى هذه المظاهر من نواحي متعددة وبصور أكثر من أن تحصر فهي ظاهرة في:

أ- تقريره من حيث المبدأ واجتماع الناس في مكان واحد والسفر للعبادة ووجوبه في العمر مرة واحدة, ففي حديث أبي هريرة قال خطبنا رسول الله ه فقال: $أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام ؟ يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ه: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)([84]).

ب- وجوبه على المستطيع مادياً وبدنياً فقط وسقوطه عن غير المستطيع, كما سبق في حديث ابن عمر: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا).

ج- التخيير بن الأنساك الثلاثة: الإفراد والقرآن والتمتع وعدم إيجابها جميعها أو جعلها منسكاً واحداً,وفي ذلك تخفيف على العباد.

د- ما يترتب على الإخلال فيه من جبره بالفدية ونحوها سواء حال ارتكاب محظوراً أو ترك واجب وغير ذلك من صور التسامح فيه.

6- مظاهر اليسر في الدعوة إلى الله تعالى:

إن الدعوة إلى الله تعالى قائمة على اليسر والسماحة والرفق بالمدعو والقول اللين والتعامل الحسن, ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

1- من خلال تقرير مبدأ الدعوة ففيها حب للآخرين سواء كانت الدعوة من الكفر إلى الإسلام, أو من المعصية إلى الطاعة.

2- ومن خلال أيضاً أساليبها ووسائلها, من الأمر بالمعروف والنهي

---

[84]() أخرجه مسلم في صحيحه 2/ 975 رقم 1337 كتاب الحج، باب فرض الحج.

عن المنكر بالقول الحسن وعدم الشدة في ذلك قال تعالى: (ذ ذ ث ث ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ)[آل عمران: 159], ولقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها:

- حديث معاذ ابن جبل ط في بعثه إلى اليمن.

- حديث أبي هريرة ط في بول الأعرابي قال: $إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين# (85).

- حديث معاذ في الصلاة وقول النبي ه له: $أفتان أنت يا معاذ#؟(86).

وهذه الأحاديث وغيرها تعضدها النصوص القرآنية في هذا المعنى, كقوله تعالى: ژچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژژڑڑکک ککگگگگڳڳڳڳ گگ[فصلت: ٣٣ - ٣٤].

وقوله سبحانه: (ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې) [البقرة: 83], وقوله سبحانه لنبيه موسى وهارون –عليهما السلام- في مخاطبتهما لفرعون: (ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے) [البقرة: 185].

7-مظاهر اليسر في المعاملات:

إن وجه التيسير في المعاملات يعرف من القاعدة المستنبطة من عامة نصوص المعاملات وهي: (الأصل في الأشياء الإباحة, ما لم يدل الدليل على التحريم) فلقد نظر الإسلام إلى حاجات الناس وعاداتهم ومستلزماتهم فوضعها على الطريق الواضح, فما كان منها طيباً نافعاً أذن فيه وأباحه وما كان ضاراً مستخبثاً نهى عنه وزجره ويدرك هذا باستعراض بعض النصوص ومنها:

- ما رواه الحاكم وصححه البزار أن رسول الله ه قال: $ما أحل الله في كتابه فهو حلال, وما حرمه فهو حرام, وما سكت عنه فهو عفو, فاقبلوا من الله عافيته, فإن الله لم يكن لينسى شيئاً, وتلا: (جم حج حم خج)(87).

- وروى الترمذي وابن ماجة عم سلمان الفارسي مرفوعاً أو

---

(85) أخرجه: البخاري 1/323 رقم 220 في الطهارة, باب صب الماء على البول.
(86) أخرجه: البخاري رقم 700 في الأذان, باب إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة.
(87) أخرجه: الحاكم في المستدرك 2/ 375 رقم 3419 .

موقوفاً: سئل رسول الله ه عن السمن والجبن فقال: $الحلال ما أحل الله في كتابه, والحرام ما حرم في كتابه, وما سكت عنه فهو مما عفا لكم#([88]).

- وروى الدارقطني وغيره عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً: $إن الله فرائض فلا تضيعوها, وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها, وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها#([89]).

ولذا جاء النهي عن السؤال حتى لا يحرم ما كان حلالاً, يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :: فالأصل في هذا أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون إليها إلا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه, كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله إلا ما دل الكتاب والسنة على شرعه إذ الدين ما شرعه الله, فالحرام ما حرم الله, بخلاف الذي ذمهم الله حيث حرموا من دين الله ما لم يحرم, وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا, وشرعوا له من الدين ما لم يأذن به الله([90]), ويقول :: وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه فالأصل فيه العفو وعدم الحظر, فلا يحظر منها إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى ([91]).

ويقول الشاطبي :: إن الشارع قد توسع في بيان الحكم والعلل في تشريع باب العادات, وإن المعتبر في ذلك مصالح العباد, والإذن دائر معها أينما دارت حسبما هو مبين في مسالك العلل, فالشارع يقصد اتباع المعاني لا الوقوف مع النص بخلاف باب العبادات فإنه المعلوم فيها خلاف ذلك ([92]).

ويعرف كذلك مجال التيسير من قواعد أخرى كقاعدة: (لا ضرر ولا ضرار) وقاعدة: (الأصل في المضار التحريم) لحديث أبي سعيد الخدري ط عن النبي ه قال: $لا ضرر ولا ضرار# ([93]) فكما أن

---

[88]() أخرجه: الترمذي 4/192 رقم 1726 في اللباس, باب ما جاء في لبس الفراء, وأخرجه: ابن ماجة رقم 3367 كتاب الأطعمة, باب ما جاء في لبس الفراء.

[89]() أخرجه: الدارقطني في سننه 4/183-184, والطبراني في الكبير 22 /589.

[90]() مجموع الفتاوى 28/386

[91]() القواعد النورانية ص 112.

[92]() الموافقات 2/220

[93]() أخرجه: ابن ماجه 3/ 430 2340 كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر جاره.

الأصل في كل ما ينفع الإباحة فالأصل في كل ما فيه ضرر راجح أو متساوي الضرر التحريم.

8-مظاهر اليسر في العقوبات والزواجر:

إن الناظر في العقوبات الشرعية من حدود وغيرها يظهر له يسر الإسلام فيها وعدالته على الفرد والمجتمع من عدة وجوه:

1- **في إعطاء كل جريمة ما يناسبها من العقوبة** كحد الزاني مثلاً, والسرقة والقذف... إلخ.

فلما كان الزنى من الثيب أعظم, كانت عقوبته أعظم, وكذلك السرقة فلما كانت اليد أمينة جعل ديتها خمسمائة دينار, فلما خانت قطعت في ربع دينار.

وكذلك القذف لما كان أخف من الزاني كانت عقوبته أخف.. وهكذا.

وعند التأمل نجد أن هذه الحدود والعقوبات رحمة للمجتمع, وهي رحمة بالناس جميعهم فهي لا تفرق بين ضعيف وشريف, ولا جنس وجنس, وحماية للحقوق وصيانة للمحرمات, إنها الرحمة المصاحبة للعدل في شريعة الإسلام ومصداق ذلك في قوله تعالى: (ك ك ك و و و) [البقرة: 179].

2- **يظهر أيضاً ذلك في أن الشارع عني بطريق الإثبات في الحدود**, بحيث لا تكون هناك شبهة, فإذا وجدت الشبهة درأت الحد, ويدل لذلك بعض الأحاديث منها:

- ما رواه الترمذي عن عائشة –رضي الله عنها- قالت قال رسول الله ه: $ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله, فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة# (94).

- وما روى ابن ماجة عن أبي هريرة ط أن رسول الله ه قال: $ادفعوا الحدود ما وجدتم مدفعاً# (95).

3- **في توجيه الإسلام للفرد نفسه**, وللإمام إذا لم يتبين له نوع

ومالك في الموطأ 2: 745 رقم 1429 . وهو حديث حسن.

94() أخرجه: الترمذي 4/25 رقم 1424 في الحدود, باب ما جاء في درء الحدود.

95() أخرجه: ابن ماجة رقم 2545 في الحدود, باب الستر على المؤمن ودفع الحدود عن الشبهات.

الحد أن يستره عليه وفي هذا جملة أحاديث منها:

- ما رواه الشيخان مرفوعاً: $كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا, وقد بات يستره الله عنه# (96).

- وجاء في الموطأ عن زيد بن أسلم أن رسول الله ه قال: $أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله, من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله, فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله# (97).

- وما رواه الشيخان أيضاً عن ابن عمر م مرفوعاً: $من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة# (98), والستر هنا عام ويدخل فيه الستر من المعصية.

- كذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك ط قال: (كنت عند النبي ه فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه علي, قال: $ولم يسأله عنه#, قال: وحضرت الصلاة فصلى مع النبي ه فلما قضى النبي ه الصلاة قام إليه رجل, فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقم فيّ كتاب الله, قال: $أليس قد صليت معنا#؟ قال: نعم قال: $فإن الله قد غفر لك ذنبك#, أو قال: $حدك#(99).

- قال النووي :: (هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير, وهي هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة ولو كانت كبيرة موجبة للحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة, فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة, هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث, وحكى القاضي عن بعضهم أنه المراد بالحد المعروف, قال: وإنما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحد, ولم يستفسر النبي ه عنه إيثاراً للستر, بل استحب الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحاً) (100).

96() أخرجه: البخاري 10/486 رقم 6069 في الأدب, باب ستر المؤمن على نفسه.
97() جامع الأصول 3/597.
98() أخرجه: البخاري 3/ 168 رقم 2442 في المظالم, باب لا يظلم المسلم المسلم, ومسلم 4/ 1969رقم (2580).
99() أخرجه: البخاري 12/133 رقم 6823 في الحدود, باب إذا أقر بالحد.
100() النووي في شرحه لصحيح مسلم (17/18).

- كذلك حديث ماعز, كما في رواية الموطأ.

9- مظاهر اليسر في تكفير الذنوب:

إن من رحمة الله تعالى وفضله وتيسيره على هذه الأمة أن جعل مكفرات للذنوب, ومنها:

1- التوبة, وجعلها سبحانه أول المكفرات ليقلع العبد عن الذنوب, والنصوص في ذلك كثيرة جداً أكثر من أن تحصر ومنها:

- ما روى النبي ه أنه قال : $لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم سقط عن بعيره وقد أضله في أرض فلاة, فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها, ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح#([101]).

- وعن أبي موسى الأشعري ط عن النبي ه قال: $إن الله تعالى يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها#([102]).

- وقوله ه: $يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة#([103]).

والنصوص القرآنية عاضدة لهذا المعنى وهي كذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ژ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ژ [النور: ٣١].

وقوله سبحانه: ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [المائدة: ٣٩].

2-ما يقوم به من العبادات:

فما يقوم به الإنسان من عبادات جعلها الله سبحانه وتعالى مكفرة للذنوب, وتكاد تشتمل جميع أنواع العبادات من طهارة وصلاة وصيام وصدقات وحج وجهاد ونحوها, وقد دل على ذلك جملة من الأحاديث:

- عن أبي هريرة ط قال: قال رسول الله ه: $الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينها ما لم ترتكب الكبائر#([104]).

- وعنه ط أنه قال: قال رسول الله ه: $من تطهّر في بيته ثم مشى

---

[101]() أخرجه: البخاري 7/ 84 رقم 6308 ومسلم 4/ 2103رقم 2744 كتاب التوبة, باب في الحض على التوبة.

[102]() أخرجه: مسلم4/ 2113 رقم 2759 كتاب التوبة, باب غيرة الله تعالى.

[103]() أخرجه: مسلم 4/ 2075رقم 2702 كتاب الذكر, باب استحباب والاستكثار منه.

[104]() أخرجه: مسلم 1/ 109رقم 233 كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات....

إلى بيت من بيوت الله يقضي فريضة من فرائض الله كان خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة#[105].

- وعن أبي قتادة ط قال: قال رسول الله ه: $صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية#[106].

- وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ط أن رسول الله ه قال: $العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة# [107].

- وقول النبي ه: $اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن# [108].

3- ما يصيب المسلم من المصائب والمحن والابتلاءات, وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة منها:

- ما رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري م أنهما سمعا رسول الله ه يقول: $ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به سيئاته# [109].

- وحديث: $ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة# [110].

- وعن عائشة –رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ه: $ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها# [111], وغير هذه الأحاديث كثير.

10-مظاهر اليسر في مشروعية الرخص:

الكلام فيما سبق عن مظاهر التيسير في الأحكام الأصلية التي شرعت ابتداء, أما هنا فالكلام عن مظاهر التيسير فيما شرع من أجل أحوال وظروف تطرأ على المكلف تجعل ما كان معتاداً في الأحوال العادية شاقاً بسبب ما عرض من أحوال وظروف, وهذه غالباً تبحث

---

[105]() أخرجه: مسلم 1/ 462رقم 649 كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة.

[106]() أخرجه: مسلم 2/ 818 رقم 1162.

[107]() أخرجه: البخاري 3/ 2 رقم 1773 كتاب العمرة، باب وجوب العمرة، ومسلم 3/ 983رقم 1349 كتاب الحج, باب فضل الحج والعمرة.

[108]() أخرجه: الترمذي 3/ 423رقم 1987 كتاب البر والصلة, باب ما جاء في معاشرة الناس.

[109]() أخرجه: البخاري 7/ 148 رقم 5641 كتاب المرضى, باب كفارة المرض/ ومسلم رقم 2573 في البر.

[110]() أخرجه: الترمذي رقم 3398 في الزهد, باب ما جاء في الصبر على البلاء.

[111]() أخرجه: البخاري رقم 5640 في المرض, ومسلم رقم 2572 في البر والصلة.

في باب الرخص وهو باب مهم, نأخذه من عدة جوانب.

تعريف الرخصة:

لغة: يراد بها التيسير والتسهيل, ومنه رخص السعر إذا سهل وتيسر[112].

اصطلاحاً, لها عدة اطلاقات منها:

1- الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر شرعي[113].

2- وتطلق على ما وضع عن هذه الأمة من التكاليف والأعمال الشاقة التي دلّ عليها قوله تعالى: (ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې) [البقرة: 286], وقوله سبحانه: ژ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ژ [الأعراف: ١٥٧].

والإصر: هو العبء الذي يأصر حامله, أي: يحبسه مكانه لا يستعمل, استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس, وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب ونحو ذلك.

- وقال الله تعالى: ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ژ [البقرة: ٥٤].

حكم الرخصة:

قد تكون الرخصة واجبة, كأكل الميتة للمضطر, وقد تكون مندوبة كقصر الصلاة للمسافر, وقد تكون الرخصة مباحة كالسلم والعرايا, أو على خلاف الأولى كفطر المسافر في رمضان الذي لا يتضرر بالصوم.

وآيات الرخص ورفع الحرج كثيرة منها: قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ)[البقرة: 173], وقوله سبحانه: ژ ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ژ [النساء: ١٠١], وقوله: ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ [البقرة: ٢٠٣].

من جوانب الرخص والتخفيف:

1- ما خفف عن هذه الأمة مما كلفت به بعض الأمم السابقة في شرائعها, قال تعالى: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ [الأعراف: ١٥٧], وقال تعالى: (ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى)[البقرة: 286].

---

[112]() الصحاح ص: 267 والمعجم الوسيط 1/ 336

[113]() كشف الأسرار 2/ 433

وهناك بعض نماذج من الأحكام التي جاءت في الأسفار القديمة تبين الأغلال والآصار التي كانت عليهم منها: من شتم أباه وأمه يُقتل قتلاً, كل من مس حائضاً يكون نجساً إلى المساء, وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً, وكل ما تجلس عليه يكون نجساً.

ومنها كذلك ما ذكره بعض العلماء: قطع الأعضاء الخاطئة, وإحراق الغنائم, وأداء ربع المال في الزكاة, وقتل النفس علامة التوبة, وعدم التطهير بالتيمم, وحرمة الجماع في أيام الصوم بعد العتمة والنوم.

2-التخفيف للحاجة:

ومن أمثلة التخفيف للحاجة: إباحة النظر إلى الأجنبية للخطبة والعلاج والشهادة, ومثله النظر إلى العورة من أجل العلاج, قال ه لمريد الزواج: $أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما#[114].

ومنها: اتخاذ الكلب للصيد والحراسة ففي الحديث: $من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو زرع أو صيد انتقص من أجره كل يوم قيراط#[115].

ومنها: الرخصة للرجال في لبس الحرير للجرب والحكة كما رخص الرسول ه للزبير وعبد الرحمن بن عوف م.

3-السفر:

فهو من جوانب وأسباب التخفيف في الشريعة الإسلامية ولا سيما في مجال العبادات, ونصوص الشريعة في ذلك واضحة ظاهرة.

ومن أمثلة رخصه: جواز المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها, وقصر الصلاة الرباعية المفروضة, والجمع عند أكثر الفقهاء بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء تقديماً أو تأخيراً والفطر في رمضان.

4-المرض:

وهو كذلك من أسباب التخفيف في الشريعة الإسلامية,ومن أمثلة التخفيف من أجل المرض:

- إقامة الصلاة فيأتي المريض بما هو قادر عليه من القيام أو القعود أو الاضطجاع على جنب أو على ظهره, كذلك يجوز للمريض

---

[114]() أخرجه: الترمذي رقم 1087 في النكاح, باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

[115]() أخرجه: البخاري رقم 5482 في الذبائح, ومسلم رقم 1574 في البيوع, باب الأمر بقتل الكلاب.

التخلف عن صلاة الجمعة والجماعة مع حصوله على الفضيلة والثواب, وصحة الجمع له على قول جمهور الفقهاء لحديث ابن عباس ط: $جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء من غير خوف أو مطر#[116].

5- الحيض والنفاس:

عذران، طبيعيان في المرأة كما قال عليه الصلاة والسلام: (هذا شيء كتبه الله على بنات آدم)[117], وجعل الشارع لهما أحكاما مخففة لما يصيب المرأة من التعب والإجهاد منها, ومن أمثلة ذلك: سقوط بعض التكاليف والعبادات مثل: الصلاة, والصوم, وقراءة القرآن, والطواف.

6-الخطأ والنسيان والاستكراه:

وهذه من الأعذار الشرعية في مجال الحقوق التي بين العبد وربه, قال تعالى: **(ي ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٱ ٻ)** [البقرة:286], وقال ه: $إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه#[118].

7-الجهل:

كذلك جعله الشارع من أسباب التخفيف والتيسير على العباد سواء في مجال الأحكام الشرعية أو أحوال الناس ووقائعهم, والكلام عن الجهل يطول –ليس هذا مجال تفصيله- فهناك جهل يصح أن يكون عذراً, وجهل لا يصح وفرق العلماء بينهم, وجعلوا من شروط التكليف بأمر من الأمور من قبل الشارع علم المكلف بطلب الشارع للفعل في الواقع, وبسّط هذا في كتب العقيدة والأصول.

* * * * *

---

[116]() أخرجه: مسلم 1/489 رقم 705 في المسافرين, باب الجمع بين الصلاتين في الحظر.
[117]() أخرجه: البخاري رقم 294 في الحيض, باب الأمر بالنفساء إذا نفسن.
[118]() أخرجه: ابن ماجة رقم 2045 وابن حبان في صحيحه رقم 7219

المبحث الثاني

القواعد الشرعية المستنبطة من نصوص التيسير

استنبط العلماء قواعد كثيرة من النصوص الواردة في التخفيف والتيسير ومن هذه القواعد ومنها على سبيل المثال:

1- القاعدة الكلية: (المشقة تجلب التيسير).

معنى القاعدة:

المشقة في اللغة: التعب, ومنه قوله تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ [النحل: ٧], أي تعبها.

والتيسير في اللغة: السهولة والليونة, ومنه الحديث $إن الدين يسر#([119]), أي سهل سمح قليل التشدد, واليسر ضد العسر.

والمعنى اللغوي الإجمالي للقاعدة: (إن الصعوبة والعناء تصبح سبباً للتسهيل).

والمعنى الشرعي للقاعدة: أن الأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه, أو ماله, فالشريعة تخففها بما يقع تحت قدرة المكلف دون عسر أو إحراج.

لهذه القاعدة أدلة كثيرة من الكتاب والسنة, وعمومات الشريعة النافية للحرج, ومشروعية الرخص كالصور التي تقدمت فيما سبق, جميعها تدل على هذه القاعدة.

متى تكون المشقة مُيَسّرة؟

تكون المشقة ميسرة عندما تتجاوز الحدود العادية, والطاقة البشرية السوية, أما المشقة العادية التي يستلزمها أداء الواجبات والقيام بالمساعي التي تقتضيها الحياة الصالحة فلا مانع منها بل التكليف بحد ذاته فيه مشقة كمشقة العمل واكتساب المعيشة, ومشقة البرد في الوضوء والغسل, ومشقة الصوم في الحر وطول النهار.

عوامل المشقة الميسرة وأسباب التخفيف:

ومع أن أصل الشريعة مبني على التيسير ودفع الحرج, فقد شرعت إلى جانب ذلك رخص التسهيل تابعة للعوارض التي تصيب

---

[119]() أخرجه: البخاري 1/93 رقم 39 في الإيمان, باب الدين يسر.

الإنسان قدرية كانت أو مكتسبة فمن العوارض القدرية المسببة للتخفيف: الصغر, والجنون, والعته, والنسيان, والنوم, والمرض, والإعماء, وأما العوارض فمنها: الجهل بالشريعة في دار الحرب من مسلم لم يهاجر إلينا, فيعذر بالجهل بالأحكام, ومنها: السفه, والمراد به الإساءة بالتصرف في المال, فيحجر على السفيه في ماله نظراً لمصلحته.

قاعدتان منبثقتان من القاعدة الكلية:

الأولى: إذا ضاق الأمر اتسع.

الثانية: إذا اتسع الأمر ضاق.

معناهما: (إذا ظهرت مشقة في أمر فيرخص فيه ويوسع فإذا زالت المشقة عاد الأمر إلى ما كان).

مستند القاعدة من السنة النبوية:

ما أخرج أبو داود عم عمرة بنت عبد الرحمن قالت سمعت عائشة تقول: (دف أناس من أهل البادية حفرة الأضحى في زمن رسول الله ه, فقال رسول الله ه: $ادخروا الثلث وتصدقوا بما بقي# قالت فلما كان بعد ذلك قيل لرسول الله ه: يا رسول الله لقد كان الناس ينتفعون من ضحاياهم ويجعلون منها الودك ويتخذون منها الأسقية, فقال رسول الله ه: $وما ذاك#؟ أو كما قال, فقالوا: يا رسول الله نهيت عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث, فقال رسول الله ه: $إنما نهيتكم من أجل الدافة التي نعمت عليكم فكلوا أو تصدقوا أو ادخروا#[120].

فنهى عن ادخار لحوم الأضاحي والانتفاع كما كانوا قبل ذلك.

2- قاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات).

أصل هذه القاعدة: قوله تعالى: (ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) [الأنعام: 120].

والضرورات في اللغة: هي الحاجة الشديدة.

والمحظورات: الحرام المنهي عن فعله.

والمعنى في الاصطلاح: أن الممنوع عن فعله شرعاً يباح عند الضرورة.

---

[120]() أخرجه: مسلم رقم 1971 في الأضاحي, باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي, وأبو داود رقم 2812 في الأضاحي.

وهي من قواعد التيسير فإذا وصل الأمر إلى الضرورة أبيح ما كان محرماً شرعاً لرفع الضرر وهذا مثل أكل الميتة للمضطر وشرب الخمر لإزالة الغصة إذا لم يوجد غيره.

3- قاعدة: (الضرورات تقدر بقدرها):

هذه القاعدة تعتبر قيداً لسابقتها أي أن كل فعل أو ترك جوز للضرورة فلا يتجاوز عنها, **ومن الأمثلة على هذه القاعدة:**

- أن المضطر لا يأكل من الميتة إلا قدر سد الرمق.
- الطبيب ينظر من العورة قدر الحاجة.
- وكذا الخاطب ينظر إلى مخطوبته ما يدعوه إلى القبول.

* * * * *

المبحث الثالث

من تطبيقات السلف لمبدأ التيسير

الصحابة ن هم القدوة وهم الذين شهدوا الوحي وطبقوه وهو ينزل على النبي ه, فأقوالهم وأفعالهم تدل على هذا المبدأ.

يقول ابن مسعود ط: (إياكم والتنطع إياكم والتعمق وعليكم بالعتيق)[121], يعني ما كان عليه الرسول ه وأصحابه, ويقول أنس بن مالك ط: (كنا عند عمر ط فسمعته يقول: (نهينا عن التكلف)[122].

وقد جاء في الموطأ أن عمر ط: (فر في ركب فيهم عمرو بن العاص ط حتى وردوا حوضاً فقال عمر: يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر: لا تخبرنا فإنا نرد على السباع وترد علينا) [123].

وعبد الله بن عمر .م على قوة تمسكه سئل عن الجبن الذي تصنعه المجوس فقال: ما وجدته في سوق المسلمين اشتريته ولم أسأل عنه.

أما التابعون فكذلك: يقول الشعبي :: (إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق) لقوله تعالى: (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ)[124].

ويقول إبراهيم النخعي: (إذا تخالجك أمران فظن أن أجلها إلى الله أيسرهما)[125].

وغير تلك الأقوال كثير –وهو موجود في مظانه ككتب القواعد- لكن المقصود ذكر ما يدل على المراد بإيجاز.

* * * * *

---

[121]() أخرجه: الدارمي في المقدمة 1/66 رقم 143

[122]() إغاثة اللهفان 1/159

[123]() تنوير الحوالك 1/46, الباجي على الموطأ 1/62

[124]() إغاثة اللهفان.

[125]() الآثار لأبي يوسف ص 196

المبحث الرابع

آثار الابتعاد عن منهج التيسير

لا شك أن الخروج عن المنهج الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لخلقه له آثار سلبية على الفرد نفسه وعلى المجتمع والأمة, لأن الله جل وعلا الذي خلق الناس وأوجدهم في هذه الحياة فهو أعلم بحالهم وما يصلح شؤونهم.

والتيسير منهج ارتضاه الله جل وعلا لهذه الأمة, ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة, كما سبق في ثنايا هذا البحث.

وهنا أذكر بعض الآثار السلبية الملتمسة من الخروج عن هذا المنهج القويم, ومنها:

1- الفهم الخاطئ للشريعة:

بنيت الشريعة الإسلامية على الأدلة من الكتاب والسنة, وهذه الأدلة دلت على منهج اليسر والسماحة في هذه الشريعة, فمن خالف هذه الأدلة فقد فهم الشريعة فهماً خاطئاً وعلى غير ما دلت عليه, وقد سبق معنا قوله ه: $إن هذا الدين يسر, ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه#, ومن مفهوم هذا النص النبوي الكريم أن من يأخذ هذا الدين بعكس المنهج التيسيري فقد حاد عن الصواب, ومن ثم انحرف حكمه على كثير من المسائل.

2- الفهم الخاطئ لمقاصد الشريعة:

من أجلّ العلوم الشرعية علم المقاصد الذي يستعين به طالب العلم في تصوّر الأحكام وإيجاد قرائت لتمييز الحلال والحرام, وبه تفهم النصوص الشرعية وتفسر, وبه يفقه نشر هذا الدين والدعوة إليه, وبه يرجح بين الصواب والخطأ.

واليسر من المقاصد الشرعية, فإذا ما حاد المسلم عن هذا المنهج اختل عنده هذا الفهم, ولبست الشريعة ما ليس منها.

3- اختلاف التطبيق الشرعي لتعاليم الدين:

ومما يبنى على ما سبق أن تطبيق الفرد لتعاليم الدين وتشريعاته ستختل, وسينحرف الفرد, أو المجتمع إما إلى الغلو أو إلى التقصير وكلاهما مسلكان سلبيان وغير سليمين.

4- التكلف والتنطع:

ومن الآثار السلبية ما يؤديه البعد عن منهج التيسير إلى التكلف والتعمق المنهي عنه كما جاء عن رسول الله ه بقوله: $نهينا عن التكلف#[126], وهذا يؤدي إلى الغلو المنهي عنه, وهو منهج مذموم, ويوقع في أخطاء كثيرة.

5- عدم إطاقة العمل:

مما يبنى على الأثر الرابع أن يفرض الإنسان على نفسه فهماً معيناً لنصوص الشريعة, ومن ثم يترتب عليه أعمال أخرى وفي النهاية لا يستطيع المواصلة والاستمرار بهذا العمل, فينقطع عنه فيكون كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى, وهنا تأتي حكمة قوله ه: $مه عليكم بالعمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا#[127].

6- رمي الإسلام بما ليس فيه:

مما يؤديه الخروج عن منهج التيسير إلى ما يراه الآخرون في الإسلام نفسه, فيظن أن تطبيق هذا الفرد هو الإسلام فيحمل الإسلام ما لا يحتمله, وهذه خطيئة متعدية, وهي خطيرة إذ أنه ليس خطأً على الفرد نفسه بل على الدين بأكمله.

ومن هنا جاءت أهمية القدوة الحسنة إذ أنها تنقل الصورة العملية عن ما يعتقده هذا القدوة من مبادئ وأخطار.

7- **ومما يبنى على الأثر السادس** ما يحصل من ردود فعل عكسية لدى بعض الناس الذين لا تقبل أفهامهم تطبيق هذا المغالي فيصلون إلى درجة من التساهل في تعاليم الشرع فيقعون في أخطاء متعددة بسبب ذاك الذي خرج عن منهج التيسير.

* * * * *

---

[126]() أخرجه البخاري 9/ 118 رقم 7293 كتاب الأدب، باب ما يكره من كثرة السؤال.

[127]() .....

نتائج بحث السماحة واليسر

نذكر في هذه النتائج أمرين:

الأمر الأول: فيما يتعلق بالبحث نفسه:

- **عرفنا تقرير مبدأ اليسر والسماحة** وأنها مقصد من مقاصد الشريعة سواء ما ورد من أقوال الرسول ه أو الآيات القرآنية, أو تطبيقات الصحابة.
- وسطية هذا الدين في كل شيء سواء في أمور الاعتقاد أو الأمور العلمية السلوكية وغيرها.
- الابتعاد عن هذا المنهج يورث آثاراً سليمة على الفرد نفسه وعلى المجتمع بأسره, وعلى الدعوة إلى هذا الدين.
- تقرير هذا المبدأ لا يعني:
  - الإخلال بمقاصد الشريعة والدين.
  - الإخلال بالمفاهيم الإسلامية بحجة التيسير والتسهيل.
  - تجاوز الحلال والحرام.
  - الإخلال بالتطبيق السليم للتعاليم الشرعية.
  - لا يعني تحكيم الأهواء والرغبات الشخصية.

خلاصة:

نخلص إلى ضرورة فهم التيسير على المفهوم الصحيح, وهو ما دلّ عليه السنة النبوية وعضدها القرآن الكريم كما سبق إيضاحه.

الأمر الثاني: في تطبيق الحديث الموضوعي:

وجدنا أن عناصر الحديث الموضوعي مكتملة في الجملة, مع الاختصار لمقتضى المقام, وبخاصة في التخريج وهي: جمع الأحاديث النبوية, وتقسيمها إلى وحدات موضوعية, وتخريجها والحكم عليها واستنباط أهم المسائل والقواعد منها, والاستفادة من أقوال أهل العلم, والإشارة إلى بعض التطبيقات في الواقع.

هذا –كما أشرت- على سبيل الإيجاز وإلا في البحوث المطولة كالرسائل العلمية, أو لبحث النوازل وغيرها فتحتاج إلى استقصاء كما هو معلوم.

* * * * *

الخـاتمــة

أحمد الله وأشكره على ما يسر من الدراسة النظرية والمثال التطبيقي عليها وهي دراسة كما أشرت في المقدمة بينت التقعيد النظري بإيجاز[128] ومثال تطبيقي يبرز شعبة البحث في الحديث الموضوعي, ويوجد له قواعد وأسس تكون نبراساً للباحثين في هذا المجال المهم الذي برزت الحاجة إليه مع تكاثر المسائل المعاصرة, وتشعب الدراسات الحديثية, والاتجاه إلى التخصصات الدقيقة, وهي دراسة اجتهادية مبدئية عضدت بمثال تطبيقي, وهي بحاجة إلى إثراء المختصين لها من مختلف الجوانب.

أسأل الله تعالى أن تكون نافعة ومفيدة في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أ.د. فـالـح بن محمد بـن فـالـح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة النبوية وعلومها
falehmalsgair@yahoo.com
الرياض 1431هـ

---

[128]() اشتملت على بيان المفهوم والأهمية والأهداف والآثار والنشأة والدراسات المعاصرة والخطوات العملية وشيء من الإرشادات وكذا.

فهرس الموضوعات

الموضـوع	الصفحـة
[1] **المقدمه**.....	5
[2] تعريف الحديث الموضوعي.....	6
[3] معاني السنة في القران الكريم.....	8
[4] السنة في اصطلاح الفقهاء.....	10
[5] تعريف الموضوعي.....	13
[6] اهمية الموضوع واهداف البحث فيه.....	16
[7] اهداف البحث في الحديث الموضوعي.....	20
[8] نشاة الحديث الموضوعي وتاريخه.....	22
[9] التصنيف الموضوعي في القرن الثاني وما بعده.....	35
[10] الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة.....	37
[11] ضوابط عامة للبحث في الحديث النبوي بعامة وللحديث الموضوعي بخاصة	43
[12] مثال تطبيقي للحديث الموضوعي في صورته المطلوبة.....	46
[13] مجالات اليسر في السنة النبوية.....	49
[14] من جوانب الرخص والتخفيف.....	72
[15] القواعد الشرعية المستنبطة من نصوص التيسير.....	76
[16] من تطبيقات السلف لمبدا التيسير.....	80
[17] اثار الابتعاد عن منهج التيسير.....	82
[18] نتائج بحث السماحة واليسر.....	85
[19] الخاتمة.....	87